اشكاليـــات فـــي الـــدين والسلطـــة

www.arabpsynet.com/Documents/DocQassimPbReligion&Power.pdf

أ.د. قاســـم حسيـــن صالـــح
رئيس الجمعية النفسية العراقية
qassimsalihy@yahoo.com

تهدئـــــة

قد يثير هذا الموضوع انزعاج وربما غضب المتطرفين من المتدينين وغير المتدنين.وعليه نرجو كلا الفريقين التحلي بالصبر وسعة الصدر.فالكاتب هنا اشبه بحكم في لعبة كرة القدم ،غير انه يدير لعبة فكرية ،الكرة فيها هي " الكلمة " ،والرابح فيها هو من يلعب بنزاهة.صحيح ان بعض "الضربات " الفكرية قد يعدّها الآخر تجاوزا،لكن اصول اللعبة تسمح لكل فريق ان يستخدم كل مهاراته الفكرية.والهدف الأساسي هو امتاع الجمهور " القرّاء" والتعلم المعرفي من كلا الفريقين،لاسيما جيلا يعاني من ارباك فكري وعدم استقرار نفسي ،وصولا الى ان نعيش حياة اجمل ونتعامل بسلوك مهذّب رغم اختلافاتنا في الفكر والدين، بعيدا عن التهديد والتشهير التي يلجأ اليها من تعوزه الحجة وأولئك الذين يقعون ضمن صنف ذوي التفكير الجامد من كلا الفريقين.

ا - الديـــــن

هل يصح القول بأن كل سلطة دينية ،على مستوى دولة، تكون متخلفة،وكل سلطة علمانية تكون تقدمية؟

الطبيعة البشرية تغريها السلطة وتدفعها الى أن تمسك بكل الخيوط والاستيلاء على مفاصل

ا - الديـــــن (1-4)

تحديد مفاهيم

* نقصد بالدين هنا الدين الأسلامي الذي يعتمد ما جاء في القرآن بوصفه منهجا يدعو لقيام نظام اجتماعي يتبنى التعليمات والقيم الانسانية والأخلاقية الواردة فيه.

* ونقصد بالسلطة نظام الحكم الذي يتولى ادارة شؤون الناس من خلال مؤسسات تنفيذية يطلق عليها..الحكومة.

* ونعني بالاشكالية موقفا او وضعا اجتماعيا او علاقة بشرية بين متغيرين او اكثر،لها اكثر من حلّ..فالمشكلة تكون كذلك لأنها تحتمل اكثر من حلّ،أو تصور لحلّ.

* اما الايديولوجية فهي نظام افتراضي من افكار تتصف بالانسجام والتكامل بخصوص الحياة البشرية بمجالاتها المختلفة وأوجهها المتعددة ،تتبناها مجموعة من الأفراد تعمل على تحويلها الى نظام واقعي(عملي)من خلال السلطة.

ان هذا التبسيط في تحديد هذه المفاهيم،ضروري كي يكون لدينا فهم مشترك بخصوص ما سيتم

طرحه.

تساؤلات

* هل ألأصح فصل الدين عن السلطة السياسية..الحكومة،بمعنى أن يحدد دور رجل الدين بأماكن العبادات ودعوة الناس الى الهداية،ويحدد دور رجل السياسة بادارة شؤون الناس الحياتية عبر مؤسسات السلطة؟أم التوفيق بينهما هو الأصح على غرار الأنموذج التركي؟

* ان رجل الدين مواطن ،ومن حق المواطن أن يكون سياسيا ،فلماذا يصر البعض على ان ينصرف رجل الدين للأمور الخاصة بالعبادة والأرشاد والوعظ ويحرمه من هذا الحق؟أم أن الخوف منه انه يوظّف الدين في خدمة السلطة ؟

* هل يصح القول بأن كل سلطة دينية ،على مستوى دولة، تكون متخلفة،وكل سلطة علمانية تكون تقدمية؟

* ان الطبيعة البشرية تغريها السلطة وتدفعها الى أن تمسك بكل الخيوط والاستيلاء على مفاصل الدولة،فهل ينطبق هذا على الأحزاب الأسلامية لتكون اللاعب الوحيد في السلطة ؟.واذا حصل فهل تغلّب في التطبيق الشريعة الاسلامية بما فيها تلك التي تتعارض مع جوهر الدين الأسلامي من قبيل حرية التعبير والمعتقد والمظهر؟

* ان تاريخ السلطة في العالم يؤكد أنها تعلن أشياء وتخفي اشياء أخرى ،وأن لها وجهين،وجه يبشر بقيم انسانية واخلاقية مصاغة في ايديولوجية تتقبلها الناس،ووجه يمارس الاستبداد والقهر والحرمان ضد المتبنين لأيدولوجيات أخرى،فهل ينطبق ذلك على السلطة الدينية السياسية؟وان انطبق ،فكيف تحل هذا التعارض مع جوهر الدين الذي يدعو الى احترام كرامة الأنسان؟

* هل الدين غاية أم وسيلة؟ وهل السلطة وسيلة أم غاية؟.واذا احتكر الحزب الديني السلطة بيده ، فهل يلتزم بتطبيق القيم الأخلاقية المنصوص عليها في القرآن ،أم تضطره السلطة الى استخدام مبدأ " ميكافيللي" في التحرر من أي قيد اخلاقي او ديني بما فيها ان ينكث عهدا او اتفاقا ان كان فيه مصلحته؟.وقل الشيء نفسه عن حزب علماني،فهل يلتزم باحترام حقوق الانسان بما فيها حق رجل الدين في نقد العلمانية اذا استلم السلطة؟

* هل الايمان ثابت ومطلق أم أنه يتجدد بتقدم العلوم والمعرفة البشرية؟.واذا كان يتجدد ،فألى أي مدى تذهب فيه السلطة الدينية ؟

* هل أننا جميعا نمتلك نفس التصور ونفس المفهوم عن الله والدين؟.واذا كنا نتفق في المعتقد بخصوص الله والدين ونختلف بالتفاصيل،فهل يحق لسلطة الدولة التدخل بهذه التفاصيل؟.وهل يصح لعلماء الدين اعتبار انفسهم انهم اصحاب الحق وانهم وحدهم يحق لهم احتكار الحقيقة؟.

* لماذا يتصور البعض انه قد احاط بعلوم الدين ويفرض على الجميع ان يفكروا بنفس الطريقة التي يفكر بها وأن يعتقد بمثل ما يعتقد؟. وبأي حق يمنع الآخر من مناقشة معتقداته ،او اجباره على تغيير قناعاته؟.وبأي حق يفوض لنفسه معاقبة من يوجه النقد الى معتقداته ،او التشهير به ،او هدر دمه ؟.واذا كنا نصف متدينا من هذا النوع بانه دوجماتي ،فهل ينطبق هذا الوصف على رجل علماني في موقفه من الدين؟

*اذا كانت لعبة السياسة تبيح الأستبداد السياسي،فبأي تخريج تبيح السلطة الدينية الأستبداد الديني؟

الدولة

تاريخ السلطة في العالم يؤكد أنها تعلن أشياء وتخفي اشياء أخرى ،وأن لها وجهين،وجه يبشر بقيم انسانية واخلاقية مصاغة في ايديولوجية تتقبلها الناس،ووجه يمارس الاستبداد والقهر والحرمان ضد المتبنين لأيدولوجيات أخرى

هل الايمان ثابت ومطلق أم أنه يتجدد بتقدم العلوم والمعرفة البشرية؟.واذا كان يتجدد ،فألى أي مدى تذهب فيه السلطة الدينية ؟

هل أننا جميعا نمتلك نفس التصور ونفس المفهوم عن الله والدين؟.

لماذا يتصور البعض انه

* واذا كان في كل مهنة او اختصاص في العلوم الانسانية والعلمية هنالك ناجحون وفاشلون ومسيئون لمهنهم او تخصصهم،فلماذ لا يصح ذلك على رجال الدين ؟ولماذا لا يطّبق عليهم ما يطّبق على غيرهم في نظام السلطة السياسية الدينية؟

* ان الاسلام لم يوص بنظام سياسي معين للحكومة،ولم ترد "الحكومة" في العقائد الاسلامية ،ولا يوجد دليل على ان الحكومة هي حكم من احكام الدين كما جاء في الصلاة والزكاة...صحيح ان النبي شكّل ما يشبه الحكومة ولكنها كانت قائمة على البيعة الحرة والنزيهة للنخبة،فيما الانتخابات التي جاءت بالاسلام السياسي للسلطة قائمة على ديمقراطية جماهير مغيب وعيها وغير نزيهة،وانه شكل حكومة تستخدم نفس اساليب واجهزة الحكومات الدكتاتورية ،فبأي تخريجات شرعية يبرر ذلك؟

* ان صحيح الاسلام هو ما يتفق عليه جميع المسلمين،وما عداه يكون في خانة الشك. وأن الايمان هو قرار اختياري،وتقديس المعتقد وتقديس الآخر اختياري ايضا.فلماذا لا تسمح السلطة الدينية بحق الفرد في ممارسة هذا الاختيار؟.وبأي تبرير شرعي تضطهد من يصر على هذا الاختيار؟.وبأي تبري لحزب علماني يحتكر السلطة ويضطهد او يسّفه من اختار الايمان بمعتقدات دينية؟.

* ان زمن الخضوع والاستكانة و"المازوشية" قد انتهى وبدأ زمن التمرد والتحدي والثورات الشعبية،وان زمن البطل الفردي ومشاهد اعدامات افراد مناضلين قد انتهى وبدأ زمن التظاهرات والاعتصامات الشعبية..فلماذا تحصل هذه في السلطتين الدينية والعلمانية مع ان كليهما يدعو الى تطبيق العدالة الاجتماعية؟.

* ان منطقتنا مهبط الأديان الثلاثة:اليهودية والمسيحية والاسلام.ومع ان جوهر هذه الأديان يدعو الى السلام والمحبة وتقدير قيمة الحياة واحترام الانسان لأخيه الانسان ،فانها " منطقتنا " اكثر مناطق العالم اثارة للحروب ،واقساها ممارسة للظلم، واكثرها ابتعادا عن تطبيق العدالة الاجتماعية التي تدعو لها هذه الأديان..فلماذا؟. هل السبب في الدين أم في السلطة؟.

سنجيب عن هذه التساؤلات في الحلقات المقبلة ،ونأمل ان تدعو الشبكة العربية للعلوم النفسية قراءها للمشاركة تمهيدا لعقد ندوة يحظرها رجال دين ومفكرون من أطر نظرية واديولوجيات متنوعة..فالعقل كما الجسم في لعبة كرة القدم، يتطور بالتدريب على فنون التفكير لاسيما اذ كان " يلعب " مع منافسين أقوياء!.

ا - الديـــــــن (2-4)

نعيد التذكير بمقولتنا التي ختمنا بها الحلقة الأولى بأن العقل كما الجسم في لعبة كرة القدم،يتطور بالتدريب على الحوار لاسيما اذا كان " يلعب " مع منافسين اقوياء.

في هذه الحلقة والتي تليها نوجز فيها مواقف فريقين متضادين من اشهر علماء النفس والاجتماع،نطرحها بموضوعية وحيادية ، أي أن دورنا هو الناقل لوجهة النظر وليس الناقد لها..ونبدأها ب(شيخ) النفسانيين ، سيجموند فرويد.

1.سيجموند فرويد.

في حوارنا مع فرويد (منشور) وجهنا له سؤالين بخصوص موقفه من الدين فأجاب بالآتي:

قد احاط بعلوم الدين ويفرض على الجميع ان يفكروا بنفس الطريقة التي يفكر بها وأن يعتقد بمثل ما يعتقد؟.

اذا كانت لعبة السياسة تبيح الأستبداد السياسي،فبأي تخريج تبيح السلطة الدينية الأستبداد الديني؟

ان الاسلام لم يوص بنظام سياسي معين للحكومة،ولم ترد "الحكومة" في العقائد الاسلامية

ان صحيح الاسلام هو ما يتفق عليه جميع المسلمين،وما عداه يكون في خانة الشك. وأن الايمان هو قرار اختياري،وتقديس المعتقد وتقديس الآخر

+ لقد وصفت عصاب القهر بأنه دين خاص مشوه ، والدين بأنه عصاب قهري عام . هل يعني هذا انك لا تؤمن بالدين ؟

فرويد :

اننا حاولنا ان نحدد للدين مكانة في تاريخ تطور الانسانية ليبدو انه كسب خالد ، بقدر ما يبدو أنه نظير للمرض النفسي الذي لابد ان يجتازه الانسان المتحضر وهو يتطور من الطفولة الى سن النضج . وكان التحليل النفسي آخر من تصدّى بالنقد للنظرة الدينية للكون ، اذ ردّ اصل الدين الى عجز الطفولة وقلة حيلتها ، كما ردّ مضمونه الى بقاء رغبات الطفولة وحاجاتها حتى سن النضج. وهذا لايتضمن على التحديد دحض الدين ، لكنه ضروري لمعلوماتنا عنه . على اننا لانتناقض مع الدين الا حين يدّعي انه ذو اصل الهي .

+ اذا كان تاريخ نشوء غريزتي الحياة والموت يعود ـــــ من وجهة نظرك ـــــ الى اللحظة التي نفخت فيها الحياة في المادة الجامدة ، فاين يبدأ تاريخ نشوء الدين ؟

فرويد :

في التصور البدائي للكون الذي ينسب الارادة للجمادات ، مبدأ المغالاة في تقدير اهمية الواقع النفسي . ولقد اكتشفت مبدأ " القدرة المطلقة للافكار " الذي يوجد بدوره في اساس السحر . ومضيت في مقارنته نقطة فنقطة بعصاب الوسواس القهري ، فبينت ان كثيرا" من مسلمات الحياة النفسية البدائية لا تزال فعّالة لذلك الاضطراب الغريب ولكن كثيرا" ما اجتذبتني في الطوطمية ـــــ اول اساليب النظام الاجتماعي في القبائل البدائية ـــــ اسلوب اتحدت فيه بدايات النظام الاجتماعي بدين ساذج ، وسيطرة صارمة لعدد ضئيل من نواهي التابو . في ذلك النظام ، الكائن المقدس هو دائما" وابدا" حيوان تدّعي القبيلة انها انحدرت منه . ومن الدلائل الكثيرة ثبت ان كل جنس من الاجناس، ايا كانت درجة رقيه ، قد مرّ لا محالة بطور الطوطمية . كانت نقطة بدايتي هي ذلك التقابل البارز بين الامرين اللذين حرمتهما الطوطمية ، اعني " تحريم قتل الطوطم وتحريم الاتصال الجنسي بأية امرأة من عشيرة الطوطم نفسها " وعنصري عقدة اوديب " قتل الاب واتخاذ الام زوجا " . ولم يبق الا القليل كي اقرر ان قتل الاب هو نواة الطوطمية ونقطة البداية في نشأت الديانه .

(انتهى النص)

هذا يعني أن فرويد ربط بين صفات الاله الذي يؤمن به الفرد وفكرة الطفل عن أبيه بالمفهوم الأوديبي. وتعني عقدة أوديب ، كما طرحها فرويد ، بأنها موقف حتمي لابد أن يواجهه كل طفل يعيش مع والديه . ففي حوالى السنة الخامسة من عمره يصبح الطفل عاشقا لأمه.. يحب أن يمتلكها جسديا باساليب يستوحيها من خيالاته وتخميناته البدائية عن الحياة الجنسية ، فيتولد لديه شعور بالكراهية لأبيه بوصفه منافسا له في أمه . وكنتيجة تبعية تنشأ عقدة أخرى هي عقدة الأخصاء التي تعني خوف الطفل من أبيه أن يقطع عضوه الذكري اذا ما تمادى – الطفل – في ميله الجنسي نحو أمه .ويرى فرويد ان عقدة اوديب تمثل القمة التي يصل اليها النشاط الجنسي الطفلي والتي تؤثر بشكل حاسم على النشاط الجنسي للراشدين.

هذه الحالة السيكولوجية الأوديبية المتمثلة بخوف الطفل من عداوة أبيه له ، وخوفه في الوقت نفسه من فقدان حبه له ، أي الخوف من العقوبة والتطلع الى العطف والحماية ، تبقى مستقرة في لاوعي الطفل وتظهر لاحقا بشكل ايمان روحي بقوة خارقة هي قوة الدين والايمان بالله.وهذا يعني أن الايمان بالدين هو حل مثالي لعقدة أوديب لأنه ينجم عنها أمران : راحة نفسيه يجدها المؤمن بالدين

اختياري ايضا

ان زمن الخضوع والاستكانة و"المازوشية" قد انتهى وبدأ زمن التمرد والتحدي والثورات الشعبية

ان منطقتنا مهبط الأديان الثلاثة:اليهودية والمسيحية والاسلام.ومع ان جوهر هذه الأديان يدعو الى السلام والمحبة وتقدير قيمة الحياة واحترام الانسان لأخيه الانسان ،فانها " منطقتنا " اكثر مناطق العالم اثارة للحروب ،واقساها ممارسة للظلم

العقل كما الجسم في لعبة كرة القدم، يتطور بالتدريب على فنون التفكير لاسيما اذ كان " يلعب " مع منافسين أقوياء!.

بأنهاء الصراع النفسي مع الأب ، وتقرّيب بين " الأنا الأعلى" الذي يمثل الضمير والقيم الأخلاقية وبين" الهو " الذي يمثل الغريزة الجنسية(وهما مكونان متناقضان) فيكون الفرد بالمستوى الأخلاقي المقبول اجتماعيا.

وفي كتابه " مستقبل وهم " يرى فرويد ان الدين ينبع من عجز الانسان في مواجهة قوى الطبيعة بالخارج والقوى الغريزية داخل نفسه . وان الدين نشأ في مرحلة مبكرة من التطور الانساني عندما لم يكن الانسان يستطيع ان يستخدم عقله بعد في التصدي لهذه القوى الخارجية والداخلية ، ولا يجد مفرا" من كبتها ، ، أو التحايل عليها مستعينا" بقوى عاطفية أو وجدانية تكون وظيفتها الكبت أو التحكم فيما يعجز عن التعامل معه عقلانيا" ، فينمو لديه ما اطلق عليه فرويد أسم " الوهم " يرتبط بتجربة الفرد عندما كان طفلا" . أي ان الدين ، في رأي فرويد ، تكرار لتجربة الطفل في المرحلة الاوديبية . وهذا يعني أن التحليل النفسي يفترض أن عملية (الاسقاط –Projection) اللاشعورية هي المحددات الحقيقية للدافعية الدينية . والواقع ان نظريات التحليل النفسي تفسر الدين بدلالة وهم ناجم عن تفكير مرغوب فيه يشكل بديلا لشخص الأب ، وتصف الدين بأنه علاقة وهمية تتوسط بين العالم النفسي الداخلي للانسان وبين العالم الخارجي الذي يعيش فيه ، ناجمة عن عمليات اسقاطية.

غير أن فرويد يذهب الى ابعد من وصفه للدين بأنه " وهم " ، فيقول ان الدين " خطر " لأنه يميل الى تقديس مؤسسات انسانية سيئة تحالف معها على مر التاريخ . فضلا" عن ان ما يقوم به الدين ، يضيف فرويد ، من تعليم الناس الاعتقاد في وهم وتحريم التفكير النقدي فانه يجعله مسؤلا" عما اصاب العقل من املاق .

ومع أن فرويد وصف الدين بأنه حالة سيكولوجية لقضية وهمية ، فأنه لم يسفّه العقائد الدينية ولم يقل عنها انها كاذبة .

حين امتلك (الوعي بالذات والعقل والتخيل) صار هو الحيوان الوحيد الذي ينتابه السأم والسخط والشعور بأنه مطرود من الفردوس (اريك فروم)

لدين التسلطي رمز للقوة والجبروت ، وهو الأعلى لأن له القوة الأعلى ، والانسان الى جواره لا حول له ولا قوة ، على حد تعبير فروم

2. اريك فروم.

افترض فروم أن الانسان مخلوق مزدوج الوجود ، فهو من جانب جزء من الطبيعة ، ولكنه أكثر الحيوانات ضعفا من الناحية الجسمية في تعايشه مع الطبيعة . وهذا الضعف البيولوجي قد جرى تعويض له يتمثل بالقدرات الفريدة التي يتميز بها الكائن البشري . غير أن هذه القدرات أدت به الى أن يبتعد عن الطبيعة ويشعر بالعزلة .

ولأن الانسان ابتعد عن الطبيعة فأنه افتقد القدرة على مجابهتها ، فنجم عن ذلك محاولته لتكوين علاقات نفسية جديدة تحل محل العلاقات القديمة ، فالتجأ الى تكوين هذه العلاقات الجديدة مع الناس ، أرادها أن تكون قائمة على المحبة وتبادل الرعاية والمسؤولية والاحترام .

ويرى فروم أن الانسان حين بدأ يبتعد عن الطبيعة حاول ايجاد طرائق تربطه بها ، فعمد الناس القدامى الى الانتماء الى مجموعات تربطها أساطير وطقوس وعبادات أشياء أو ظواهر طبيعية مثل الشمس والقمر والنار والبرق.

وبتطور الانسان وانتهاء علاقته بالطبيعة ، تشكلت لديه حاجات جديدة تماما ذات طبيعة اجتماعية – نفسية هي : الانتماء (توجهت الى الأفراد والمؤسسات الاجتماعية كبديل نفسي للعلاقة بالطبيعة)، والتجاوز (أن يتخطى حدوده الحيوانية الى حالة الخلق والابداع)،والتجذّر (حاجته الى أسرة وبيت في هذا العالم)، والهوية (حاجته الى تأسيس هوية خاصة به ، وأن يكون قادرا على أن يقول

الاله قد أصبح في الدين التسلطي المالك الوحيد لما كان يملكه الانسان أصلا .: أعني العقل والحب ((اريك فروم)

اذا كان فرويد (ضد أو عدو)الدين فان يونج (مع أو صديق) الدين . ولهذا السبب فقد دعمته الكنيسة ، ليس فقط لأنه مع الدين بل

للآخرين : "أنا ..أنا " ولست " أنا كما ترغب أنت في أن أكون ")،والاطار المرجعي (ويعني تكامل الحاجات السابقة لتشكل اطارا مرجعيا للتوجه نحو الكون الذي نعيش فيه ، بما فيه العلاقات مع أفراد الجنس ، الأصدقاء منهم والأعداء).ويقول في كتابه (الأنسان لنفسه Man for himself) ان الحاجة الى اطار مشترك للتوجيه تضرب بجذورها عميقا في أحوال الوجود الانساني ، وأن الانسان حين امتلك (الوعي بالذات والعقل والتخيل) صار هو الحيوان الوحيد الذي ينتابه السأم والسخط والشعور بأنه مطرود من الفردوس ، وصار هو الحيوان الوحيد الذي يعدّ وجوده مشكلة له ..عليه أن يحلها ، وأنه عندما أضاع الفردوس وفقد الاتحاد بالطبيعة صار مجبرا على السير قدما الى الأمام باذلا الجهد ليجعل المجهول معروفا ، وأن يفهم معنى وجوده .وصار لديه دافع قاهر لاستعادة الوحدة والتوازن بينه وبين بقية الطبيعة وذلك بأنشاء أو خلق صور ذهنية جامعة للعالم تكون بمثابة اطار للأشارة يستطيع من خلاله أن يستمد الاجابة على السؤال الخاص بموقفه وما ينبغي عليه عمله . ويقر فروم بأنه لا وجود للانسان بغير حاجة دينية ، حاجة الى أن يكون له اطار للتوجيه وموضوع للعبادة . ويستدرك قائلا : بيد ان هذا القول لا يخبرنا بشيء عن سياق خاص تتجلى فيه هذه الحاجة الدينية ، فقد يعبد الأنسان الحيوانات ، او الأشجار ، أو الأصنام من الذهب او الحجارة ، او آلها غير منظور ، أو انسانا مقدّسا ، او زعماء شياطين ، وربما أسلافه ، أو أمته ، أو طبقته او حزبه ، أو المال ..والمسألة ليست " دينا أو لا دين " بل " أي نوع من الدين " هل هو من النوع الذي يساعد على تطور الانسان والكشف عن قواه الانسانية الخاصة به كأنسان ، أم هو من النوع الذي يصيب هذه القوى بالشلل؟.

ويعرّف فروم الدين بأنه (أي مذهب للفكر والعمل تشترك به جماعة ما ، ويعطي للفرد اطارا للتوجيه وموضوعا للعبادة). ويرى أن الدين على أنواع ، فهنالك أديان توحيدية وأخرى متعددة الالهة ، غير أنه يركز في نوعين يطلق عليهما :الأديان الانسانية humanistic والأديان التسلطيةauthoritarian . ويقصد بالنوع الأول ألاديان التي يأتي بها أشخاص مثل بوذا ، الذي يعدّه معلما عظيما ويصفه " بالمستنير " الذي أدرك حقيقة الوجود الانساني وتحدث باسم العقل وليس باسم قوة فائقة على الطبيعة . أما الأديان التسلطية (يقصد السماوية) فان العنصر الجوهري فيها هو الاستسلام لقوة تعلو على الأنسان ، والطاعة فيه هي الفضيلة الأساسية والعصيان هو الخطيئة الكبرى . وكما تصور هذه الأديان (التسلطية) أن الاله قوي شامل القدرة ومحيط علما بكل شيء ، فانها تصور الانسان بالمقابل على أنه عاجز ، تافه الشأن ، ولا يشعر بالقوة الا بمقدار ما يكتسب من فضل الاله ومعونته عن طريق الاستسلام التام . فالاله في الدين التسلطي رمز للقوة والجبروت ، وهو الأعلى لأن له القوة الأعلى ، والانسان الى جواره لا حول له ولا قوة ، على حد تعبير فروم .

وينّبه فروم الى أن الدين التسلطي العلماني (أو الدنيوي) يتبع هذا المبدأ نفسه . فهنا يصبح الفوهرر أو " ابو الشعب " المحبوب ، أو الدولة ، أو الوطن الاشتراكي ..موضوعا للعبادة ، وتصبح حياة الفرد تافهة ، وتتألف قيمة الانسان من انكاره لقيمته وقوته .غير أن فروم يفضل ما يسميه الدين الانساني على الدين التسلطي ، لأن هدف الانسان في الدين الانساني هو أن يحقق أكبر قدرة من القوة ، لا أكبر قدر من العجز ، والفضيلة هي تحقيق الذات لا الطاعة ، والايمان هو يقين الاقتناع المؤسس على تجربة المرء في مجال الفكر والشعور لا على تصديق قضايا وفقا لذمة المتقدم بها . والمزاج السائد فيها هو الفرح ، فيما المزاج السائد في الدين التسلطي هو الحزن والشعور بالذنب، يضيف فروم .

لأنه انشق على فرويد واختلف معه في طروحاته بخصوص الجنس وعقدة أوديب واللاشعور والدين

القارىء لنظرية فرويد يستنتج منها أن الانسان هو الذي خلق الدين فيما يستنتج من نظرية يونج أن الدين بنظامه الأخلاقي هو الذي خلق الانسان

رأى (يونج) أن الأساطير والتقاليد القديمة والرموز والأفكار المجردة تنتقل من جيل الى آخر عبر مفهوم أطلق عليه مصطلح اللاشعور الجمعي Collective Unconscious الذي يعدّه مخزن آثار الذكريات الكامنه التي ورثها الانسان عن ماضي أسلافه ، والمتخلفات النفسية لنمو الانسان التطوري

ويستعين فروم بآلية الاسقاط الفرويدي فيقول : ففي حين ان الاله في الدين الانساني صورة لذات الانسان العليا ، ورمز على ما يمكن ان يكون عليه الانسان او ما ينبغي أن يئول اليه ، نرى أن الاله قد أصبح في الدين التسلطي المالك الوحيد لما كان يملكه الانسان أصلا .: أعني العقل والحب . وكلما كان الاله أكمل ، كان الانسان أنقص . انه " يسقط " أفضل ما عنده على الاله ، ومن ثم يفقد نفسه . وهكذا يملك الاله الآن كل الحب ، وكل الحكمة ، وكل العدل – والانسان محروم من هذه الصفات . انه فقير خاوي الوفاض فصاريشعر بالضآلة وعاجز تماما بعد ان اسقط قواه كلها على الاله ، وانتهى بالنتيجة الى أن يكون مغتربا عن نفسه ، وأنه في عبادته للاله يحاول ان يتصل بذلك الشطر من نفسه الذي فقده عن طريق الاسقاط .

في الحلقة التي تليها نطرح وجهة نظر الذين يقفون مع الدين، مكررين القول بأن دورنا هنا هو الناقل للنظرية وليس الناقد لها ، مرجئين ذلك لما بعد ابداء وجهات نظركم بالموضوع .

- اريك فروم (1900-1980) أشهر من كتب في الفلسفة والاجتماع وعلم النفس وعلم الأخلاق في النصف الثاني من القرن العشرين . ولّد في المانيا وهاجر الى الولايات المتحدة عام 1934 واستقر فيها . من بين أهم مؤلفاته : الهرب من الحرية ، الانسان لنفسه ، المجتمع العاقل ، ثورة الأمل ، الانسان بين المظهر والجوهر ، التحليل النفسي والدين ، فن الحب ، واللغة المنسية .

ا – الديـــــــن (3-4)

في الحلقة السابقة طرحنا وجهة نظر الذين يفسرون الدين بطريقة تختلف عن الموقف السائد منه،وفي هذه الحلقة نطرح وجهة نظر الذين يقفون مع الدين.

3.يونج وفرانكل

اذا كان فرويد (ضد أو عدو)الدين فان يونج (مع أو صديق) الدين . ولهذا السبب فقد دعمته الكنيسة ، ليس فقط لأنه مع الدين بل لأنه انشق على فرويد واختلف معه في طروحاته بخصوص الجنس وعقدة أوديب واللاشعور والدين . فالقاريء لنظرية فرويد يستنتج منها أن الانسان هو الذي خلق الدين فيما يستنتج من نظرية يونج أن الدين بنظامه الأخلاقي هو الذي خلق الانسان .

ولقد بدأ اهتمام يونج بالدين بعد أن انفصل عن فرويد وتخلص من سلطته عليه ، وبعد أن أسس له مدرسة أو منهجا أسماه علم النفس التحليلي ،فتوجه نحو دراسة الأساطير والرموز القديمة والطقوس وعادات الشعوب البدائية والاحلام وامراض العصابيين وهلوسات الذهانيين ..وخلص الى نتيجة عدّ فيها شخصية الفرد نتاجا ووعاء يحتوي تاريخ اسلافه . ورأى أن الأساطير والتقاليد القديمة والرموز والأفكار المجردة تنتقل من جيل الى آخر عبر مفهوم أطلق عليه مصطلح اللاشعور الجمعي Collective Unconscious الذي يعدّه مخزن آثار الذكريات الكامنه التي ورثها الانسان عن ماضي أسلافه ، والمتخلفات النفسية لنمو الانسان التطوري.

ويعد يونج اللاشعور الجمعي منبع الابداع الذي يحوي كل الخبرات الانسانية :أوهام ، أساطير ، أنماط سلوكية ، عبادات ، أحداث طبيعية ...المتراكمة من الماضي السحيق شرط أن تكون هذه

يعد يونج اللاشعور الجمعي منبع الابداع الذي يحوي كل الخبرات الانسانية :أوهام ، أساطير ، أنماط سلوكية ، عبادات ، أحداث طبيعية ...المتراكمة من الماضي السحيق

يرى (يونج) أن انهدام الشعور الديني يسبب كثيرا من مشاعر القلق والخوف من المستقبل والشعور بعدم الامان والنزوع نحو الرغبات الغريزية

الذي جعل فرانكل يتحول من منهجه الفرويدي الى منهج روحي وجودي هو أنه لاحظ أن السجناء الذين كانوا معه في معسكر الاعتقال كانوا على نوعين ، الأول :شحبت وجوههم و هزلت أجسامهم وصاروا جلدا على عظم ، والثاني :صمدوا وظلوا

الخبرات قد تكررت مرات عديدة وتراكمت آثارها في دماغ الانسان ..وأن هذا اللاشعور الجمعي الذي هو منبع الابداع كان غنيا ومتنوعا وبأفضل حالاته لدى الأنبياء بوصفهم مبدعين من طراز فريد ،وأن الدين هو من بين الأمور التي يحتويها هذا اللاشعور الجمعي الانساني بصورة طبيعية بوصفه مسألة فطرية . ويرى أن الوجود النفسي يكون ذاتيا اذا طرأت الفكرة لشخص واحد فقط ، ولكنه يكون موضوعيا اذا أقر المجتمع تلك الفكرة ، أي باجماع الأراء. وبما أن الدين أقرته المجتمعات عبر تاريخها الطويل ، وما تزال ، اذن فهو حقيقة موضوعية .

ويقول يونج في كتابه (علم النفس والدين) ان الدين هو " الملاحظة الدقيقة المتحوطة لما أسماه رودولف أوتو ببراعة (الخارق للطبيعة) ، أي وجود دينامي أو أثر لا يسببه فعل جزافي من أفعال الارادة ، بل على العكس ، هذا الوجود يمسك ويتحكم في الذات الانسانية التي هي دائما ضحيته أكثر من أن تكون خالقته ". ويعرّف التجربة الدينية بانها شيء تسيطر عليه قوة خارجة عنّا ، وأنها تتسم بضرب خاص من الخبرة العاطفية هي الخضوع لقوة أعلى . ويرى ان انعدام الشعور الديني يسبب كثيرا من مشاعر القلق والخوف من المستقبل والشعور بعدم الامان والنزوع نحو الرغبات الغريزية.

أما فرانكل (1905–1997) فلموقفه الايجابي من الدين واقعة في منتهى القسوة . فهو طبيب نفسي نمساوي أمضى خلال الحرب العالمية الثانية ثلاث سنوات في أحد المعسكرات النازية ، وكان وقتها أستاذا لعلم الأعصاب والطب النفسي بجامعة فينا . وكان والده وأخوه وزوجته مسجونين ايضا وقد لقوا حتفهم في معسكرات الموت أو أرسلوهم الى أفران الاعدام بالغاز . وعن هذه التجربة القاسية والمرعبة أصدر في عام 1959كتابا بعنوان (من معسكر الموت الى الوجودية) ، أعاد طبعه في عام 1963 بعنوان جديد هو (الانسان يبحث عن المعنى) وصف فيه الاذلال والمهانة والرعب والتعذيب التي عاشها في السجن ، وشرح كيف استطاع هو وآخرون أن يعيشوا نفسيا في ظروف معسكر الموت . واستنتج فرانكل بأنه استطاع أن يحافظ على توازنه الانفعالي لكونه نجح في ايجاد معنى لمعاناته المريرة التي ربطها بحياته الروحية . ورأى أن روحه هي التي أعطته الحرية لتجاوز ظروف فرص البقاء فيها ضئيلة . واكتشف أن بداخله طاقة ورؤية مستقبلية ترفعه فوق ظروف القهر والسجن والجوع والبرد والقسوة ..وتوقع الابادة في كل ساعة .

والذي جعل فرانكل يتحول من منهجه الفرويدي الى منهج روحي وجودي هو أنه لاحظ أن السجناء الذين كانوا معه في معسكر الاعتقال كانوا على نوعين ، الأول :شحبت وجوههم و هزلت أجسامهم وصاروا جلدا على عظم ، والثاني :صمدوا وظلوا في صحة جسمية ونفسية أفضل ..وتبين له ، بعد دراستهم ، أن الصنف الأول فقدوا الأمل في الخلاص وصاروا كالمحكوم بالاعدام الذي ينتظر لحظة التنفيذ ، فيما النوع الثاني كان لديهم ايمان ديني او روحي منحهم القدرة على تحمل المعاناة والتعلق بالحياة .

ويعتقد فرانكل ان الامراض النفسية وبخاصة الكبت تنشأ حين لا يكون للفرد غرض او هدف في العيش او الحياة ، وأن الانسان يكون أكثر مقاومة للمرض النفسي وأسرع تعافيا منه اذا كان في حياته معنى يشكل له هدفا وغاية ، وأن الايمان من أهم المعاني التي تمنح لحياة الانسان معنى وجدوى ، ويكون لوجوده أهمية ومغزى. وبتعبير جوردن البورت في مقدمته لكتاب فرانكل (الانسان يبحث عن المعنى) :" هنا نقف على الفكرة الرئيسة للوجودية : فلكي تعيش عليك أن تعاني ، ولكي تبقى عليك أن تجد معنى للمعاناة . واذا كان هنالك هدف في الحياة ، فانه يوجد بالتالي هدف

في صحة جسمية ونفسية أفضل

الصنف الأول فقدوا الأمل في الخلاص وصاروا كالمحكوم بالاعدام الذي ينتظر لحظة التنفيذ ، فيما النوع الثاني كان لديهم ايمان ديني او روحي منحهم القدرة على تحمل المعاناة والتعلق بالحياة (فرانكل).

يعتقد فرانكل ان الامراض النفسية وبخاصة الكبت تنشأ حين لا يكون للفرد غرض او هدف في العيش او الحياة ، وأن الانسان يكون أكثر مقاومة للمرض النفسي وأسرع تعافيا منه اذا كان في حياته معنى يشكل له هدفا وغاية

في المعاناة وفي الموت". ويذكر فرانكل أنه وجد في بعض الأحيان معنى في الموت ، اذ يموت الانسان سعيدا من أجل معنى ديني أو روحي أو وطني . هذا يعني أنه عكس سارتر الذي وصف الموت بأنه نهاية سخيفة .

وقد استخدم فرانكل طريقة جديدة في العلاج النفسي أسماها (العلاج بالمعنى (Logo Therapy يوظّف فيها الأفكار والنصوص الدينية التي يعتقد بها المريض في تصحيح ما لديه من أفكار مرضية أو مغلوطة . وابتكر نوعا جديدا من العصاب أسماه (عصاب اللامعنى أو الفراغ الوجودي) حدد أهم أعراضه بالشعور بالملل والتعاسة والفراغ الداخلي وعدم الرضا والاحساس بأن الحياة لا لون ولا طعم لها بالرغم من أنه لا يوجد سبب واضح لهذه الأعراض .ويعزو فرانكل أسباب العزلة والاغتراب الى فشل صاحب المعاناة في أن يجد معنى واحساسا بالمسؤولية ازاء وجوده . وبهذه الانجازات فقد عدّته مجلة تايم الأمريكية بأنه يمثل المدرسة النمساوية الثالثة في العلاج النفسي بعد فرويد وأدلر .

وقد عبّر فرانكل عن المعنى عبر ثلاثة انواع من القيم هي : قيم الخبرة " التي تتحقق من خلال الوجود المدرك في العالم" ، والقيم الابداعية " التي تتحقق من خلال الفعل المباشر في العالم " ، وقيم الاتجاه " التي يتوقف تحقيقها على وعي الفرد ، وتكون ممكنة حتى حين يحال التعبير عن قيم الخبرة والقيم الابداعية ".

ونوضّح ، من جانبنا ، أن في الفلسفة الوجودية فريقين من الوجوديين ، الأول : الوجوديون المؤمنون ، ويمثلهم جابريل مارسيل وكارل يسبرز من الفلاسفة ، وفرانكل من علماء الطب النفسي . والثاني : الوجوديون الملحدون ، ويمثلهم هايدجر وسارتر من الفلاسفة ، وورلو مي من علماء النفس .

ويرى الفريق الأول (المؤمنون) أن للانسان طبيعة بشرية خلقه الله بمقتضاها ، ثم بعد ذلك يختلف الناس ويتباينون ، فيما ينكر الفريق الثاني (الملحدون) أن للانسان شيئا أسمه الطبيعة البشرية ، لأنه لا يوجد الرّب الذي تمثل وجود هذه الطبيعة ، كما يرون .

ا – **الديـــــــن**: (الدين والتعصب والاسلام السياسي) (4-4)

ثمة مفهوم شائع، بخاصة بين السياسيين والمفكرين ، ان المتدينين يكونون متعصبين وأن المثقفين متحررين وغير متعصبين ، فهل هذا صحيح ام فيه رأي آخر ؟

ولكي نكون جميعا" داخل حدود الموضوع ، لنضع تعريفا" للتعصب اولا".

هو الحكم المسبق،Prejudice ان المعنى الحرفي لكلمة التعصب في اللغة الانجليزية

فيما ينظر علماء النفس الاجتماعي للتعصب على أنه اتجاه سلبي غير مبرر نحو الفرد ، قائم على أساس انتمائه الى جماعة معينة لها دين أو طائفة أو عرق مختلف ، أو اتجاه عدائي نحو جماعة معينة قائم على أساس الانتماء اليها . ويعني أيضا" النظرة المتدنية لجماعة أو خفض قيمتها أو قدراتها أو سلوكها أو صفاتها ليس لها أساس منطقي . كما يعني أيضا" اصدار حكم غير موضوعي بشأن جماعة معينة. بهذه المعاني فان التعصب اتجاه مؤذ لصاحبه والآخرين قائم على تعميمات غير دقيقة بخصوص جماعة على أساس لونها أو عرقها أو دينها أو جنسها .

الايمان من أهم المعاني التي تمنح لحياة الانسان معنى وجدوى ، ويكون لوجوده أهمية ومغزى

هنا نقف على الفكرة الرئيسة للوجودية : فلكي تعيش عليك أن تعاني ، ولكي تبقى عليك أن تجد معنى للمعاناة . واذا كان هنالك هدف في الحياة ، فانه يوجد بالتالي هدف في المعاناة وفي الموت (جوردن البورت)"

استخدم فرانكل طريقة جديدة في العلاج النفسي أسماها (العلاج بالمعنى (Logo Therapy يوظّف فيها الأفكار والنصوص الدينية التي يعتقد بها المريض في تصحيح ما لديه من أفكار مرضية أو مغلوطة

وعلى وفق نظرية التصنيف الاجتماعي فان الناس ينزعزن الى تصنيف عالمهم الاجتماعي الى صنفين " نحن " (أو الجماعة الخاصة بالفرد) و " هم " (أو الجماعة الاخرى) . وانهم يتحيزون لجماعتهم ويبالغون ويعظّمون ايجابياتها ويغمضون اعينهم عن سلبياتها ، فيما يعمدون الى تضخيم سلبيات الجماعة الاخرى وغض الطرف عن ايجابياتها .(للمزيد :أنظر ما سبق بخصوص التعصّب).

وثمة معلومة مهمة ، هي ان العداء بين الجماعات يمكن ان يظهر حتى في غياب تضارب المصالح ، فمجرد الانتماء الى جماعة معينة يمكن ان يكون سببا" كافيا" لظهور التعصب ضد جماعة أخرى .

ولسنا معنيين بما يخص علماء الدين وفقهاء الشريعة ، انما الذي يهمنا ــ بوصفنا سيكولوجيين ــ معرفة علاقة الفرد بالدين .. أو مقاصده منه ، والاسباب التي تساعدنا على فهم العلاقة بين الدين والتعصب . وما يشغل تفكيرنا هو : هل هناك سبب واحد ، أم اسباب مختلفة يدفع/ تدفع الناس الى أن يكونوا متدينين ؟

تشير الدراسات المعنية بهذه " الاشكالية " الى ان الناس يكونون متدينيين لأسباب متعددة وليس لسبب واحد.. ويمكن تصنيفهم على النحو الآتي:

1. التدين " الغرضي ". ويعني التوجه نحو الدين بوصفه وسيلة للحصول على اشياء اخرى ذات قيمة . فالذهاب الى اماكن العبادة يوفر فرصة لتكوين صداقات، يمكن ان تفيد في أوقات الازمات، أو حين يكون الشخص بحاجة الى مساعدة أو اسناد اجتماعي. كما ان هذا النوع من التدين قد يحقق لصاحبة مكانة اجتماعية أو اعتبارية أو وظيفية . وبهذا يكون الدافع هنا تحقيق منفعة تهدف الى خدمة المحافظة على احترام الذات، ويكون الوجدان الديني فيه غير ناضج.

2. التدين الباحث عن الحقيقة . ويعني التوجه نحو الدين بوصفه سفر دائم من أجل فهم القضايا الاخلاقية والروحية المعقدة، والمصحوب عادة بمعتقد ان الاجابات السريعة والبسيطة ، خاطئة تماما".

3.التدين الحقيقي. ويعني التوجه نحو الدين الذي يحاول الناس عن طريقه أن يعيشوا دينهم ويستدخلوا تعاليمه . ومن هذا المنظور فأن الدين ليس وسائل لتحقيق بعض الاهداف ، وليس رحلة من أجل البحث عن حقيقة، انما هو غاية بحد ذاته ، يكون فيه الوجدان الديني ناضجا" ، ويكون الانسان فيه قد سلّم له نفسا" طوعا" لذاته وليس من أجل استعماله.

وقد تسأل الآن : من من هذه التوجهات الثلاثة في الدين ، هو المتعصب أو الأكثر تعصبا"؟ .

لنبدأ بالتوجه الثالث منها " التدين الحقيقي " الذي يؤمن اصحابه بأن الدين ليس وسيلة لتحقيق غاية ، ولا هو البحث عن حقيقة الروح والاخلاق والحقيقة ، أنما هو الغاية النهائية للأنسان .

ان معظم الاديان تدعو الى التسامح ، والافراد في هذا النوع من التدين–الحقيقي– يسعون ويتمنون ان يحققوا نوعا" من التكامل بين معتقداتهم الدينية وهوياتهم وسلوكهم.وعليه ، فأننا نتوقع من هذا الصنف ان يكونوا الأقل تعصبا" بين المتدينين . وتشير الدراسات الى ان هذا الصنف من المتدينين ليسوا أكثر تعصبا" حتى من اولئك الذين يصفون انفسهم بأنهم غير متدينين . وما يميزهم أن الوجدان الديني عندهم يكون ناضجا ، يثير لديهم الشعور بالمتعة ويحول مشاكل الحياة من سياقها الروتيني الى منظور اكثر شمولية واعمق معنى .. فيكون ثقلها أخف عليهم موازنة (مقارنة) حتي بغير المتدينين.

والصنف الثاني من المتدينين ،أي الذين ينظرون الى الدين بوصفه رحلة بحث وتقصي دائم لفهم قضايا روحية واخلاقية معقده ، فأنهم يكونون من النوع المنفتح عقليا" على مسائل أخرى أيضا"

ابتكر (فرانكل) نوعا جديدا من العصاب أسماه (عصاب اللامعنى أو الفراغ الوجودي) حدد أهم أعراضه بالشعور بالملل والتعاسة والفراغ الداخلي وعدم الرضا والاحساس بأن الحياة لا لون ولا طعم لها بالرغم من أنه لا يوجد سبب واضح لهذه الأعراض

ثمة مفهوم شائع، بخاصة بين السياسيين والمفكرين ، ان المتدينين يكونون متعصبين وأن المثقفين متحررين وغير متعصبين ، فهل هذا صحيح ام فيه رأي آخر ؟

التعصب اتجاه مؤذ لصاحبه والآخرين قائم

فكرية أو علمية أو ثقافية . وهذا الصنف من المتدينين هم الأقل ميلا" نحو التعصب.

اما الصنف الأول من المتدينين ، الذين يتخذون من الدين وسائل للحصول على أشياء اخرى من قبيل الصداقة والمكانة والاسناد في الاوقات الصعبة ، فأن هؤلاء يميلون الى ان يكونوا الاكثر تعصبا"، والأقل نضجا في الوجدان الديني .

ان هذه الأصناف الثلاثة من المتدينين موجودة في معظم الأديان .ولكن فيما يخص الدين الاسلامي ،فان هنالك صنفان آخران ، الأول ما اصطلح على تسميته ب (الاسلام السياسي)والثاني جماعة (القاعدة).

ومع أن هذين الصنفين يمكن أن ينضويا تحت صنف (التدين الغرضي)لأنهما يستخدمان الدين وسيلة لتحقيق غايات أخرى ،الا أن " الغايات " لدى هذه الأطراف داخل هذا الصنف تحكمها فروق نوعية .فالغايات هنا سياسية وليست اجتماعية من قبيل تكوين صداقات ،بل السعي الى تحقيق زعامات تشبع الحاجة الى السلطة والسيطرة ،ومصالح اقتصادية ترفع صاحبها درجات في سلّم المكانات في الهرم الاقتصادي للمجتمع .

وعلى وفق هذا المنظور يكون المتدينون السياسيون أو (السياسيون المتدينون) هم الأكثر تعصبا بين الناس ، ليس فقط لأنهم يستخدمون الدين وسيلة لتحقيق أهداف أخرى ، بل ولأن التنافس السياسي وصراع المصالح يضطرهم الى أن يكونوا متعصبين .

ولكن هل يصح هذا التعميم على الأحزاب الاسلامية ؟ أعني القول بأن كل الأفراد المنتمين الى أحزاب اسلامية هم تعصبيون ، أو هم الأكثر تعصبا بين الناس ؟.

ان الموضوعية العلمية لا تميل الى التعميم في مثل هذه الأمور ، فقد يكون بين الأحزاب الاسلامية أفراد أقل تعصبا من أفراد ينتمون الى أحزاب علمانية مثلا .الا أننا نرى أن العامل الحاسم في الحكم على تعصب هذا الحزب او ذاك هو انفراده بالسلطة،مصحوبا بعامل نفسي هو توليد الشعور بالاحباط لدى الأطراف او الجماعات الأخرى التي أعاقها أو حرمها أو حال دون تحقيقها لأهداف وحاجات مشروعة .

ان الأحزب السياسية كانت قبل زلزال انهيار الاتحاد السوفياتي تسعى جميعها الى تحقيق هدف واحد هو (الحصول على السلطة) ،وأن تعصبها لهذا الهدف بالذات هو الذي أسقط تلك التي وصلت الى السلطة ،وهو نفسه " التعصب " الذي لن يمكّن تلك التي تسعى للحصول عليها ، مثل (القاعدة) التي تهدف الى اقامة (دولة اسلامية)وتدعي بأنها تحكم بأمر الله وتنفذ ارادته ،أو الأحزاب اليسارية المتطرفة التي ما تزال تريد اقامة دولة البروليتاريا . فلا فرق في التعصب بين حزب "ماركسي " وحزب ديني اذا كان كلاهما يسعى الى الحصول على السلطة والانفراد بها .

وثمة معلومة سيكولوجية مفادها : ان الذين لديهم ميول تعصبية ينخرطون عادة في أحزاب أو حركات متطرفة ، سواء كانت دينية أم علمانية ، أويمينية أم يسارية بالمصطلح السياسي.غير أن احداث الألفية الثالثة أثبتت أن الدين اذا توحّد بالتعصب ودخل شاهرا سيفه في الساحة السياسية فانه يضطر الاخرين الى أن يشهروا سيوفهم او يتمترسون في خنادقهم .. وغالبا ما تكون الواقعة!

ويبقى الدين حاجة نفسية،فلقد نشأ في الاتحاد السوفياتي السابق ثلاثة اجيال تربوا على فلسفة مادية ضد الدين،ولما انهار النظام وتخلى عن فلسفته عادت الكنائس تبنى في موسكو وقريبا من الساحة الحمراء!.

بهذا نكون قد انهينا الاشكاليات الخاصة بالدين،تليها سلسلة جديدة من الاشكاليات الخاصة بالسلطة..نرجو ان نكون قد مارسنا فيها تدريب العقل على فن الحوار

على تعميمات غير دقيقة بخصوص جماعة على أساس لونها أو عرقها أو دينها أو جنسها

مجرد الانتماء الى جماعة معينة يمكن ان يكون سببا" كافيا" لظهور التعصب ضد جماعة أخرى

ما يشغل تفكيرنا هو : هل هناك سبب واحد ، أم اسباب مختلفة يدفع/ تدفع الناس الى أن يكونوا متدينين ؟

التدين " الغرضي ". ويعني التوجه نحو الدين بوصفه وسيلة للحصول على اشياء اخرى ذات قيمة

II – السلطـــــــة

II – السلطـــــــة (1-4)

في الحلقات الاربع الماضية تحدثنا عن اشكاليات خاصة بالدين،وسنبدأ بالتحدث عن اشكاليات خاصة بالسلطة في أربع حلقات ايضا.

مفهوم السلطة:

يتداخل مفهوم السلطة بمفهوم آخر هو التسلط. فمنهم من يرى أن المفهومين وجهان لحالة واحدة ،ومنهم من يرى أن الكشف عن الخط الفاصل بين المفهومين يشكل الحد الفاصل بين مفهومي العدالة والظلم،والحق والباطل.ويستند الرأي الأول على واقع الحال في العصر الحديث فيما يستند الرأي الثاني الى نظرية العقد الاجتماعي للمفكر الفرنسي جان جاك روسو الذي حاول فيها رسم حدود بين السلطة والتسلط. واللافت أن معنى " السلطة" يختلف باختلاف اللغات .ففي لسان العرب ،هنالك تلميح غامض لمفهوم السلطة أذ جاء فيه أن " السلطة هي /القهر ،وقد سلطه الله فتسلط عليهم ".وترد السلطة في قاموس " الهادي" لحسن سعيد الكرمي بأنها " القدرة والملك".ويشير الفعل بها الى التسلط،وانه:تسلط الأمير على البلاد،حكمها وسيطر عليها،وتسلط القوي على الضعفاء،وتغلب عليهم وقهرهم ،وتسلط ..تمكن وتحكّم". وواضح ان كلا المصدرين أخذ مفهوم السلطة بمعناه التسلطي المشحون بالعنف والجبروت والسطوة والتغلب.

ولقد ظهرت محولات أحدث لتطوير المفاهيم الانسانية في اللغة العربية بينها محاولة جميل صليبا في معجمه الفلسفي الذي عرّف السلطة بأنها " القدرة والقوة على الشيء،والسلطان الذي يكون للأنسان على غيره".ويطلق مفهوم السلطة النفسية على الشخص الذي يستطيع فرض ارادته على الاخرين لقوة شخصيته وحسن اشارته وسحر بيانه.اما السلطة الشرعية فهي مفهوم يطلق على السلطة المعترف بها في القانون ،كسلطة الحاكم والوالي والقائد. غير ان محاولة " الموسوعة العربيةالعالمية" تضمنت معنى تجاوز الطابع اللغوي التقليدي وراعت فيه ان يكون اكثر معاصرة،اذ عرّفت السلطة بأنها " قدرة اشخاص او مجموعات على فرض ارادتهم على الآخرين،اذ يستطيع الاشخاص ذوو النفوذ انزال عقوبات او التهديد بها على اولئك الذين لا يطيعون اوامرهم او طلباتهم". وبرغم هذه المحاولات فان مفهوم السلطة في اللغة العربية بقي مشحونا بالعنف والقوة ودلالات التسلط التي تتبدى بالعقوبات والتهديدات وتتجلى في غايات الطاعة والخضوع والامتثال لقوة قادرة قاهرة.

ومع ان مفهوم السلطة كان قد مرّ في اللغتين الأنجليزية والفرنسية بما مرّ به في اللغة العربية ،الا انه اكتسب فيهما بالنهاية أبعادا وطاقات جديدة لم يعرفها في اللغة العربية. ففي قاموس "لاروس" الفرنسي تعني السلطة :" الحق والقدرة على التحكم ،واتخاذ الأوامر ،واخضاع الآخرين،ومثلها سلطة مدير المدرسة".ويبدو واضحا ان القاموس الفرنسي يضفي على السلطة قيمة الحق ويضرب لها مثلا تربويا بسلطة مدير المدرسة.ويقدم لنا جاك مارتيان ايضاحا يفرّق فيه بين السلطة والقوة،اذ تعني القوة أجبار الآخرين على طاعتك،فيما تعني السلطة الحق في ان توجه الآخرين أو أن تأمرهم بالاستماع اليك وطاعتك .والسلطة تتطلب قوة،غير أن القوة بلا سلطة ظلم واستبداد،وبهذا الفهم فان

التدين الباحث عن الحقيقة . ويعني التوجه نحو الدين بوصفه سفر دائم من أجل فهم القضايا الاخلاقية والروحية المعقدة

التدين الحقيقي. ويعني التوجه نحو الدين الذي يحاول الناس عن طريقه أن يعيشوا دينهم ويستدخلوا تعاليمه

اما الصنف الأول من المتدينين ، الذين يتخذون من الدين وسائل للحصول على أشياء اخرى من قبيل الصداقة والمكانة والاسناد في الاوقات الصعبة ، فأن هؤلاء يميلون الى ان يكونوا الاكثر تعصبا"، والأقل نضجا في الوجدان الديني

السلطة تعني الحق وشرعية استخدام القوة.

في ضوء ذلك يتبين أن "السلطة" هي غير " التسلط"..فالسلطة في المفهومين الفلسفي والأخلاقي ،ضرورة اجتماعية (لتنظيم أمور المجتمع)، وضرورة نفسية (لتحقيق الشعور بالأمن)،وضرورة أخلاقية (لتحقيق العدالة الاجتماعية).وهي بهذه المعاني تكون مشروعا تمارس بموجبه القوة لا " التسلط" لاقرار ما وجدت لأجله.فيما يتضمن مفهوم التسلط معاني:الظلم،القهر،الارهاب،الاكراه،التشدد،والعنف..وما يماثل ذلك وهي كثيرة في اللغة العربية.

نأتي الآن الى خصائص السلطة بشكل عام،وواقعها في الأنظمة العربية وفي العراق بشكل خاص.

1.السلطـــــــــة والسطـــــــوة.

تعني السطوة في القاموس المحيط فعل :صال ،او قهر بالبطش. وهنالك أربعة مصادر للسطوة: المنصب والثروة والخبرة والعلاقات.أولها واخطرها، سطوة المنصب التي تعتمد على السلطة الرسمية. فعبر دراسة نماذج لأسوأ طغاة العالم(هتلر، موسليني، ستالين، بول بوت،عيدي أمين، وصدام حسين) تبين أن جميعهم يتبعون اسلوبا" (مسرحيا") في بناء سطوتهم، يمر بأربع مراحل: في الأولى يبدأ الدكتاتور المتوقع بتشكيل علاقات مع أناس لديهم نوايا أو مطامح نحو سلطة من نوع ما. وقد لايكون هؤلاء أكثر من مجرد مفكّري مقاهي أو كانوا نجحوا في تكوين نوع من الهوية السياسية. في الثانية ينتقل من مرحلة التعرف على الناس الى مرحلة تكوين التحالفات بأن يستغل صاحب سطوة المنصب مهارات اجتماعية وأنماط تأثير مراوغة، وقدرة على الأقناع السياسي، وتفكير سياسي له وجاهة، ووعد بتحسين الأوضاع بعمل مشترك..رسمي وشعبي..ويعمد الى استيعاب من يطمح لدور قيادي فيضعه في مركز يرضى به.. ويصبر على التخلص من منافسيه لفرصة ملائمة..ليصل الى المرحلة الثالثة..السيطرة..بطريقة (ناعمة). فهتلر جاء الى السلطة بانتخابات ديمقراطية، ولكن ما أن صار زعيما" للحزب القومي الأشتراكي الحاكم حتى اسرع بتثبيت اركان الحكم مكتسبا" قدرة كبيرة على التأثير في الناس تخوله أن يقرر ويسيطر ويوجّه ويكافيء ويعاقب و(يحيي ويميت!).

اما حين يصل صاحب سطوة المنصب المرحلة الرابعة فأنه يتوجه نحو التخلّص من منافسيه السياسيين ووضع الموالين له في مناصب سلطويه ، وبناء آليه تمكّنه من بث الخوف والهيبة فيهم وفي الشعب بأكمله لدعم سطوته..ولها وصل صدام حسين.

أن مجساتنا، نحن السيكولوجيين، تلتقط اشارات من المشهد السياسي العراقي الحالي تفيد بوجود قادة سياسيين يبدون في ظاهرهم ديمقراطيين فيما تعمل بداخلهم نزعة السطوة. وكما أن الليل والنهار لايمكن أن يجتمعا، كذلك السطوة والديمقراطية. ولهذا يعيش هؤلاء حالة تناقض وجداني وسلوكي، لأنهم يحاولون جمع اتجاهين متعاكسين لابد أن يتغلب أحدهما: اما السطوة أو الديمقراطية. وما نخشاه أن هذا الصنف(وبعضهم عبر المرحلة الثانية) استمكن من مصادر السطوة الثلاثة الأخرى: سطوة الثروة، بحيازته القاعدة الذهبية (من يملك الذهب هو القادر على وضع القواعد)، وسطوة الخبرة بامتلاكه دراية ومعلومات تكسبه التأثير في العامة، وسطوة العلاقات باكتسابه قبول أناس يمتلكون سطوة عشائرية،أو اجتماعية، أودينية، أوثقافية أيضا"..تنذر بخطر كبير على الناس والوطن ..وعلى أنفسهم أيضا.

2.الغطرســـــة والسلطـــــة:

معروف عن (دافيد أوين) انه كان وزيرا لخارجية بريطانيا، ولكن غير معروف عنه أنه بالاصل

على وفق هذا المنظور يكون المتدينون السياسيون أو (السياسيون المتدينون) هم الأكثر تعصبا بين الناس ، ليس فقط لأنهم يستخدمون الدين وسيلة لتحقيق أهداف أخرى ، بل ولأن التنافس السياسي وصراع المصالح يضطرهم الى أن يكونوا متعصبين

لا فرق في التعصب بين حزب "ماركسي " وحزب ديني اذا كان كلاهما يسعى الى الحصول على السلطة والانفراد بها

ان الذين لديهم ميول تعصبية ينخرطون عادة في أحزاب أو حركات متطرفة ، سواء كانت دينية أم علمانية ، أويمينية أم يسارية

بالمصطلح السياسي

يبقى الدين حاجة نفسية،فلقد نشأ في الاتحاد السوفياتي السابق ثلاثة اجيال تربوا على فلسفة مادية ضد الدين،ولما انهار النظام وتخلى عن فلسفته عادت الكنائس تبنى في موسكو

يتداخل مفهوم السلطة بمفهوم آخر هو التسلط. فمنهم من يرى أن المفهومين وجهان لحالة واحدة ،ومنهم من يرى أن الكشف عن الخط الفاصل بين المفهومين يشكل الحد الفاصل بين مفهومي العدالة والظلم،والحق والباطل

طبيب نفسي، دخل السياسة وصار زعيما للحزب الديمقراطي الاجتماعي، وبرلمانيا، وعضوا في بعثة السلام ليوغسلافيا السابقه، وبها توج اعماله ليمنح لقب (لورد).

ولأنه جمع عمليا بين الطب النفسي والسياسة، فأن خبرته النظرية والميدانية اوصلته الى مفهوم جديد في اضطرابات الشخصية اسمه اضطراب (متلازمة الغطرسة) وجد انه يشيع بين السياسيين، وانه يؤثر في صانعي القرار من الحكام والمسؤولين (رؤساء: بنوك، جامعات، شركات،...).
واستشهد على ذلك بالقرارات التي اتخذها جون كنيدي في مشكلة خليج الخنازير للأطاحة بالرئيس الكوبي فيديل كاسترو، ولندن جونسون الذي اصيب بالأكتئاب وقراراته الخاطئه الخاصة بمشكلة فيتنام، ورئيس الوزراء البريطاني أنتوني ايدن أثناء العدوان الثلاثي على مصر واستعماله للمهدئات، وفرانسو متيران، وشاه ايران، والرئيس الامريكي نيكسون الذي اصيب بالقلق والاكتئاب.

ولدى تمعني بأعراض متلازمة (الغطرسة) التي ترجمها للعربية الدكتور احمد عكاشه الرئيس الشرفي للأطباء النفسيين العرب، وجدت ان اخطر هذه الاعراض متوافره لدى معظم القادة العرب. فالحاكم العربي مهووس بـــ (ذوبان الذات في السلطة) كذوبان السكر بالشاي بحيث يستحيل فصل نفسه عن السلطة، بل انه يضع علامة (=) بينه والوطن، ولكم ان تتذكروا شعار: (صدام حسين هو العراق!)..وحكّاما آخرين أطاح بهم ربيع ثورات العرب ساووا بين انفسهم والوطن مثل زين الدين بن علي وحسني مبارك.

ولذا يبيح الحاكم العربي لنفسه استخدام اقسى وسائل العنف ضد من يهدد بقاءه في السلطة، وان اقتضى الأمر فأنه يتخذ قرار (عليّ وعلى اعدائي) لأن من اعراض (الغطرسه) ايضا (اندفاعية القرار) وهذا ما جسده القذافي ضد شعبه وآخرين تعرفونهم.

وثلاثة اعراض اخرى من (متلازمة الغطرسه) تشيع بين القادة العرب هي (استعمال لقب نحن) و (الاعتقاد الراسخ بتبرئته امام الله والتاريخ) و (الاقتناع بالاستقامه).

فمع ان الحاكم العربي ارتكب افضع القبائح (افقار الناس وكنز المليارات، والقتل والتعذيب، وافساد الضمائر..) فأنه يخص نفسه بالاستقامة الاخلاقية، ويعدّ نفسه مثال المتحلي بالاخلاقيات الرفيعة، وان مساءلته هي من اختصاص الله وحده وليس للشعب حق في ذلك. وهذه ناجمة من حالة كنّا شخصناها هي ان رئيس الدولة العربي تتحكم به (سيكولوجيا الخليفة) التي تعني اعتقاده بأنه امتداد للخليفة..سلطة الله في الأرض..التي تشفرت في اللاوعي الجمعي عبر 1400 عاما.

وتنزيه الحاكم لنفسه، وعدّها القدوة في الاخلاق تعني تعظيما وتفريدا له تؤدي الى النرجسية الاستعلائيه، وازدراءا لأراء الأخرين واحتقارا للناس ينجم عنها الشعور بالمذلّة والمهانة..التي هي من اعراض (الغطرسة) ايضا الشائعة لدى الحكّام العرب.

II – السلطـــــــة (4-2)

تناولنا في الحلقة الأولى صفتين من خصائص السلطة هما:" السطوة "..وكيف تبنى في الأنظمة العربية..ولمحنّا الى أن المشهد السياسي العراقي الحالي يفيد بوجود قادة سياسيين يبدون في ظاهرهم ديموقراطيين فيما تعمل بداخلهم نزعة السطوة، و " الغطرسة" وأعراضها المتفشية في القادة العرب.

في هذه الحلقة سنتحدث عن ثلاث صفات أخرى للسلطة هي:الجرائم التي ترتكبها بمبرر الطاعة،وسعي الحكومة لتطمين الناس بيقين ،وهوس العربي

بالسلطة.

3 – الطاعـــــة..وجرائـــــم السلطـــــة.

في محاكمته بعد انهيار الحكم النازي في ألمانيا بشأن المذابح الجماعية التي شارك فيها، أنكر (ايخمان) قتل أي إنسان، ولكنه أكد بفخر شديد أنه نقل ملايين البشر الى حتفهم بحماسة ودقة كبيرين. ويشير عالم النفس الاجتماعي (هيرش) إلى ملاحظة ذكية فحواها أن جرائم الإبادة الجماعية(Genocide)، وهو مصطلح ظهر عام 1944، والعديد من الجرائم التي ارتكبت بحق الإنسانية، إنما ارتكبت باسم الطاعة.

إن تاريخ السلطات في كل المجتمعات يشير إلى أن الأفراد الذين يستلمون التعليمات ممن يحتلون مواقع السلطة ينصاعون لتنفيذ تلك التعليمات. وأنه نجم عن هذه الطاعة العمياء مشكلات خطيرة في التاريخ الإنساني، أحدثها في العراق، وقبلها في : أرمينيا، وأوكرانيا، ورواندا، وكمبوديا، والبوسنة،... وقبلها ألمانيا وفضائع الحرب العالمية الثانية. ففيها يذكر(ملغرام)، أشهر باحث في ميدان الطاعة، ((تعرض ملايين الناس للقتل انصياعا للأوامر، وتم إعدام أفواج متتالية من البشر. وإذا كان صحيحا أن هذه السياسات الوحشية تفتقت عن ذهن شخص واحد بعينه، إلا أنه لم يكن بالمستطاع تنفيذها على هذا النطاق الواسع لولا خضوع عدد كبير من الأشخاص للأوامر)).

والسؤال : ما العمليات النفسية والاجتماعية التي تجعل الفرد يقوم بارتكاب هذه الجرائم بضمنها الإبادة الجماعية؟

الباحثون يضعون ((منح الصلاحية)) للفرد ليتصرف باسم السلطة، في المقدمة. ففيها يشعر أن ما يرتكبه من أفعال يتم بتوجيه من السلطة المخولة وليس بدافع منه. أي أنه يشعر بحالة ((الإنابة)) التي تعني أنه يطيع الأوامر من سلطة أنابته لتنفيذها. وهذا ما سمعناه من مرتكبي الجرائم في نظامي صدام حسين وحسني مبارك، فكل واحد منهم برر ما قام به من جرائم بقوله: ((إنني كنت أنفذ الأوامر فحسب)). أي أنه غير مسؤول عن نتائج إطاعته الأوامر. ويبدو أن توزع المسؤولية بين عدد كبير من الناس هو العامل الحاسم في الجرائم التي ارتكبت ضد الإنسانية.

والعملية الثانية التي تسهل للفرد ارتكاب الجرائم الجماعية باسم السلطة هي ((الروتينية)) التي تعني عنده أن القتل مهمة مطلوبة يتوجب عليه القيام بها. فيما تتمثل العملية الثالثة بتجريد الإنسان من إنسانيته بأن ينظر مرتكب الجريمة إلى ضحاياه نظرة تجردهم من قيمتهم بوصفهم بشرا، ليفلت من الضوابط الأخلاقية التي تمنع القتل.

والتساؤل: ما الذي يمنع أن تتكرر جرائم القتل من قبل السلطة الحالية والتي ستليها في حكم العراق؟.

إن الواقع يشير – أو هكذا نرى – أن إمكانية وقوعها (إبادة جماعية، أو قتل في أقبية الأمن والمخابرات...) أكثر احتمالية من عدم وقوعها. ذلك أن العاملين في السلطة الجديدة ومن سيأتي بعدها، ورثوا آلية سيكولوجية هي الطاعة العمياء لتنفيذ أوامر السلطة. بل أنك تجدها حتى في أحزابنا السياسية داخل السلطة وخارجها، فجميعها تعتمد مبدأ (نفّذ ثم ناقش). وجميعنا لم نتعلم بعد متى نتمرد على السلطة ونعصي تنفيذ أوامرها، ولم يتثقف الناس بعد بمخاطر الطاعة العمياء.ومع ان لدينا وزارة بأسم " وزارة حقوق الانسان" فان الوفد الذي يمثلها ،طرد من قاعة المؤتمر الخاص بحقوق الانسان بجنيف في 22-2012/9/23 لاتهام العراق بارتكابه جرائم ضد حقوق

مفهوم السلطة في اللغة العربية يقي مشحونا بالعنف والقوة ودلالات التسلط التي تبدى بالعقوبات والتهديدات وتتجلى في غايات الطاعة والخضوع والامتثال لقوة قادرة قاهرة

السلطة تتطلب قوة،غير أن القوة بلا سلطة ظلم واستبداد،وبهذا الفهم فان السلطة تعني الحق وشرعية استخدام القوة

السلطة في المفهومين الفلسفي والأخلاقي ،ضرورة اجتماعية (لتنظيم أمور المجتمع)، وضرورة نفسية (لتحقيق الشعور بالأمن)، وضرورة أخلاقية (لتحقيق العدالة الاجتماعية).

الانسان،كانت الطاعة العمياء أحد أهم أسبابها.

وثمة نافلة لها دلالة، أن المؤرخين للحرب العالمية الثانية طرحوا فرضية مفادها أن الألمان يختلفون عن بقية الشعوب بكونهم يعانون من خلل أخلاقي يجعلهم مستعدين لطاعة السلطة دون تساؤل، وأن هذا الخلل هو الذي أتاح لهتلر الفرصة لشن حربه المجنونة على العالم..ولقد أثبتت الدراسات العلمية الخاصة بطبيعة الشخصية البشرية أن هذه الفرضية خاطئة تماما.

وعن الطبري، أن الوليد بن عبد الملك، حين قرر بناء الجامع الأموي في دمشق، أمر أن يأتيه كل رجل بلبنة واحدة، ففعلوا إلا رجلا كان يأتيه بلبنتين، فسأله : من أين أنت ؟ قال : من العراق. فقال الوليد : تفرطون في كل شيء حتى الطاعة. !

وقد تكون هذه الفرضية خاطئة أيضا. إلا أنه من المؤكد أن الإنسان العادي، أيا كان ومن أي شعب كان، يمكن أن يرتكب أبشع الجرائم، إذا كان منفّذا لأوامر السلطة بطاعة عمياء، والمصيبة أن بيننا من هذا الصنف..كثر.

4- الحكومـــــة.. والبحـــــث عــن يقيـــن

الحقيقة السيكولوجية الأولى التي تشغل الانسان، وشغلته منذ خلق، هي البحث عن يقين فيما يخص وجوده ومصيره وما يحيط به من أمور. والمفارقة، أن أوضح وأريح يقين خبره الانسان في تاريخه، ليس حين صار عالما ومتحضرا، انما ايام كانت علاقته محصورة بالطبيعة قبل آلاف السنين. فقد كان يعرف أحوالها، وتقلبات مزاجها، وكيف يتعامل معها. وفيها لم يكن يعرف حدودا لسكناه أو ممارسة نشاطاته. والأهم من ذلك، أنها كانت صادقة معه، لا تكذب عليه، ولا تخدعه بأوهام، ولا يخاصمها حتى في أشد حالات غضبها عليه.

وبـــ(اختراع) السلطة، أنتقل بحث الانسان عن اليقين من الطبيعة الى السلطة. أعني أن وجوده ومصيره وما يخصه من أمور، صارت بيد السلطة. ومن هنا بدأ الانسان يتلقى الصدمات ويعاني أفدح خيباته وأوجع نكباته. وكانت أقسى اوجاعه النفسية عليه أنه صدّق بخدعة ما كان ينبغي أن تمّر عليه حتى في أشد حالاته سخفا وحماقة. فكل سلطة تأتيه كانت تزقّه بيقين يتبين له بعد فوات العمر أنه وهم ليس إلا. فالسلطة في الاتحاد السوفياتي وأوربا الشرقية – في سبيل المثال– وعدت إنسانها باجمل ما في الانسانية من قيم...العدالة. واوحت له بأن يكون يقينه بها كيقينه بأن الشمس تشرق غدا. وإذا بكل السلطة تنهار في زلزال، وكانت نار ذلك الزلزال هو) يقين) العدالة الذي كان وهما.

وفي عالمنا العربي، كانت السلطة قد وضعت يقين الناس في (القومية) وإذا بهذا اليقين الذي حقنت به عقول الملايين من مئات السنين، ينهار ويتطاير في ستة أيام بنكسة أوجع خجلا من العار !.

وهنالك سلطات في مكان آخر من عالم قريب منا، التجأت الى الدين في تطمين الناس) بيقين)، فكان ما كان مما نحن نعرفه من خذلان للانسان والدين معا. وغسل الناس أيديهم – هنا – من القومية، و– هناك – من الدين. وكان آخر يقين سوّق الينا هو (الحرية)، وأغلب الظن أن الناس سيغسلون أيديهم منها بعد أن ينتهي التبشير بها ويكتشفون يقينها وهما.

وكانت آخر سلطة حكمتنا متخبطة بـــ(يقينات) بين القومية والاشتراكية والدين على طريقة (عبد الله المؤمن) الذي أثبت بالدليل المشهود أن إيمانه عميق عمق مقابره الجماعية !. وكان يقين السلطة السابقة بنفسها أنها تمتلك من القوة ما يبقيها الى الأبد، أو الى أحفاد السلطان في الأقل. والمصيبة ان

كما أن الليل والنهار لايمكن أن يجتمعا، كذلك السطوة والديمقراطية. ولهذا يعيش هؤلاء حالة تناقض وجداني وسلوكي، لأنهم يحاولون جمع اتجاهين متعاكسين لابد أن يتغلب أحدهما: اما السطوة أو الديمقراطية

ولدى تمعني بأعراض متلازمة (الغطرسة) التي ترجمها للعربية الدكتور احمد عكاشه الرئيس الشرفي للأطباء النفسيين العرب، وجدت ان اخطر هذه الاعراض متوافره لدى معظم القادة العرب

يبيح الحاكم العربي لنفسه استخدام اقسى وسائل العنف ضد من يهدد بقاءه في السلطة،

عقل السلطة عندنا يخترع وهما بهيأة يقين ثم يصدّقه على طريقة جحا. وإلا لو كانت(السلطة السابقة) تدرك أن يقينها وهم فلما حلّت بها كارثة، الموت بها أهون من تعفّن صاحبها في حفرة وفضيحته أمام الناس الذين كان يزقهم بـــ(يقينات) آخرها : تحطم الغزاة على أسوار بغداد.

والحقيقة السيكولوجية المرتبكة التي يعيشها العراقيون اليوم،هي أن السلطة ليس لديها (يقين) تعد الناس به. بل أنها هي نفسها لا تملك يقينا بشأن نفسها. فهل هي – في سبيل المثال – اسلامية أم علمانية ؟ وهل لديها يقين بهوية العراق ما اذا كان اتحاديا أم عربيا أم بأربع هويات ؟ وهل ستظل (الحكومة) في صراع مع اسرائيل أم تتحول الى مغازلتها ؟ وكل غزل يكون في البدء على استحياء !.

ما يأمله العراقيون أن تأتي حكومة تخرجهم من المحنة، ولا تعد الناس بما هو ليس يقينا، كما فعلت أول حكومة بعد التغيير يوم سوقت لهم (يقينا) بأنها (حكومة وحدة وطنية). وأن لا تسوّق لهم وهم (الحرية) و (الديمقراطية) كيقين. فأغلب الظن أن الناس سيغسلون أيديهم منهما كما غسلوها من (القومية) وأخواتها. والأهم من ذلك أن تغتسل السلطة (الحكومة الحالية) من أوهام تخصها وتحسبها يقينا، في مقدمها : أن تخاطب الناس ب(يقين) أن زمام الأمور بيدها وحدها.!

5 –العربـــــي..والهـــــوس بالسلطـــــة

قد أبدو للبعض، لا سيما الذين في السلطة، منحازا لاختصاصي إذا قلت أن لكل سلطة سيكولوجية خاصة بها ومزاج نفسي يميزها عن غيرها من السلطات، بالرغم من وجود ثوابت نفسية تشكل قاسما مشتركا لكل السلطات في الدنيا، أهمها : الاحتفاظ بالسلطة والدفاع عنها سواء بالإقناع أو الإغراء أو الحيلة أو العنف أو قطع الرأس.

والمطلع على تاريخنا العربي والإسلامي يجد أن السلطة فيه قامت على نظرية (الشخص العظيم) التي ترى أن القادة أشخاص استثنائيون يمتلكون شخصيات تمتاز على الآخرين بثلاث صفات : الشجاعة والذكاء والكارزما...أي جاذبية شخصية القائد التي تدفع الناس إلى تقديسه. وعلى مدى ألف وأربعمائة سنة، فعل هذا المناخ السيكولوجي فعله فينا، حتى صرنا نعتقد بأن القائد العربي يولد بتركيبة بيولوجية وقدرات خارقة تخصه بها قوة سماوية غير تلك التي يولد بها عباد الله. ولقد نجم عن هذا الاعتقاد – الذي جرى تشفيره في العقل الجمعي العربي للناس– أن القائد (خليفة، ملك، سلطأن، رئيس، أمير..) منح لنفسه امتيازات استثنائية بوصفه شخصا استثنائيا.

وراحت السلطة تغريه إغراء فاتنة (لعوب) محترفة. فاستجاب أغلبية القادة العرب لهذا الإغراء أو ذاك، كل حسب هواه ومزاجه، وتوزعوا على : الهوس ببناء القصور، أو جمع الثروة، أو جمع النساء، أو اللهو والمتعة، أو (المكاون– مفردة صدام –..أي إشعال الحروب امتدادا لغريزة الغزو عند العربي البدوي)، أو الهوس النرجسي بالاستماع إلى قصائد المدح بالتعظيم والتفخيم لإشباع الحاجة العصابية إلى الإعجاب التي هي عند معظم القادة العرب، مثل جهنم، يسألونها : هل امتلأت ؟ تقول : هل من مزيد ؟..أعني لن يشبع حاكمنا العربي من المديح، ولن يفرز جبينه قطرة خجل حتى لو كتب فيه دواوين شعر تملأ ناقلة نفط. وكان بينهم أخيرا من هو في هوسه على شاكلة الشاعر (تأبط شرا) الذي سئل عما يحب في الدنيا فأجاب : (أكل اللحم وركوب اللحم وحك اللحم باللحم !).

وللأسف، أن معظم القادة العرب (ربما باستثناء عبد الكريم قاسم وسوار الذهب) ورثوا عن أسلافهم القادة هوسهم بالسلطة أكثر مما ورثوا عنهم فضائلهم وترّفع الندرة منهم عن ملذاتها.

وان اقتضى الأمر فأنه يتخذ قرار (علنيّ وعلى اعدائي) لأن من اعراض (الفطرسه) ايضا (انسفاعية القرار) وهذا ما جسده القذافي ضد شعبه وآخرين تعرفونهم

ثلاثة اعراض اخرى من (متلازمة الفطرسه) تشيع بين القادة العرب هي (استعمال لقب نحن) و (الاعتقاد الراسخ بتبرئته امام الله والتاريخ) و (الاقتناع بالاستقامه)

ان رئيس الدولة العربي تتحكم به (سيكولوجيا الخليفة) التي تعني اعتقاده بأنه امتداد للخليفة..سلطة الله في الأرض..التي تشفرت في اللاوعي الجمعي عبر 1400 عاما

واللافت ان الذين امتلكوا السلطة في العراق الجديد أصيبوا بهوس (الثروة).فمع أن معظمهم مناضلين أكدوا في خطاباتهم انهم يسعون لتحقيق رفاهية الشعب،وكانوا يوم عادوا الى العراق لا يمتلكون ثمن تذكرة الطائرة،فانهم صاروا الآن يمتلكون الفلل الفارهة في عواصم عربية واجنبية..وما زال حالهم في هوس جمع الثروة كحال جهنم ،يسألونها هل امتلأت تقول هل من مزيد؟!..والمفارقة، ان معظم الذين انتخبوهم يعيشون في جحيم الفقر!.

II - السلطـــــــة (3-4)

تحدثنا في الحلقتين السابقتن عن خمس خصائص في السلطة السياسية ،ونضيف لها في هذه الحلقة صفتين:موقف السلطة من الحقيقة ،وميكافيللي الديمقراطي!..

6.الحقيقــة..دائمــا عـــدوّة السلطــة

لا أعرف من قائل هذه الحكمة البليغة (الحقيقة دائما عدّوة السلطة)..وكنت أشك في أنها تنطبق على الحكومات العراقية التي جاءت بعد التغيير لسببين،الأول:ان من استلم السلطة هم قيادات في أحزاب دينية ولا يمكن للدين أن يعادي الحقيقة،والثاني:ان من استلم السلطة كانوا مناضلين توثّق خطاباتهم أنهم يضحّون من أجل الشعب.

لكن ما حصل تنطبق عليه مقولة المرحوم جعفر السعدي:(عجيب أمور غريب قضية!).فما أن استلموا السلطة ،او بالواقع:سلمتّهم أمريكا السلطة،نسوا ما كانوا يقولون،ونسوا أخلاق الدين وقيمه التي تدعو للمساواة والعدالة الاجتماعية ،وأنكم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ،وأن المسلم لا يبات شبعانا وجاره جائع. فرواتب القادة في السلطة هي أضعاف ما يتقاضاه أرفع حاكم عربي في المنطقة.

ليس هذا فقط ،بل أنهم منحوا موظفي المنطقة الخضراء بدل خطورة قدره (300)بالمئة ،وخمسون ألف دولارا سنويا لتجديد أثاث بيوتهم وشققهم ،فضلا عن مخصصات الايفادات والحمايات..فعملوا من أنفسهم فئة ثرية مترفة مرفهة ووضعوا انفسهم فوق المساءلة والقانون والناس ..ومن يكون حاله هكذا لم يعد من الشعب.

ومع أن الحكومة السابقة صار العراق في زمنها ثالث أفسد دولة في العالم ،وتم في عهدها عقد صفقات وابرام عقود لم يشهدها تاريخ العراق..سكتت عن محاسبة الفاسدين فيها،وأن ما نهب من أموال العراق وما تقاضاه رجالات الحكومة السابقة من رواتب ومخصصات وامتيازات وصرف رواتب تقاعدية لأكثر من ألف خدموا بين ثلاثة أشهر وسنة ويتقاضون راتب وزير أو مدير عام..لو أن كل هذا استثمر في اعمار العراق لتحولت بغداد من مدينة خربة الى أجمل عاصمة في الشرق الأوسط ولصارت مدنه تليق بأهلها لا أن تكون هي الأردأ في العالم وتزداد سوءا مع تصاعد الميزانية مليارات الدولارات!.

ومع كل هذا فأن الحكومة عزت السبب فيما حصل الى عاملي الزمن والمال،ولم تشر الى الفساد الذي هو سرطان المشكلة. ياآلهي!..ما الذي يحصل، حتى الحكومة الديمقراطية هي ايضا عدوّة الحقيقة!.

قد يقول أحدكم:أخي ..ان الذي تأتي به امريكا لا يمكن أن يكون مخلصا لشعبه.وقد يقول آخر: لا تلمهم..فلو جئت بعمر المختار وأجلسته على كرسي السلطة لأفسد ضميره مسمارها الصدء!.وقد يقول ثالث:لم تعد السماء تبعث بمسيح جديد أو محمد جديد..ولم يعد بين المسلمين من هو سلطة حق كالأمام علي ..ولم يعد بين الثائرين على الظلم لينين جديد يحدد حصته في البطاقة التموينية (وهو

أن العاملين في السلطة الجديدة ومن سيأتي بعدها، ورثوا آلية سيكولوجية هي الطاعة العمياء لتنفيذ أوامر السلطة. بل أنك تجدها حتى في أحزابنا السياسية داخل السلطة وخارجها

من المؤكد أن الإنسان العادي، أيا كان ومن أي شعب كان، يمكن أن يرتكب أبشع الجرائم، إذا كان منفّذا لأوامر السلطة بطاعة عمياء، والمصيبة أن بيننا من هذا الصنف..كثر

الحقيقة السيكولوجية الأولى التي تشغل الانسان، وشغلته منذ خلق، هي البحث عن يقين فيما يخص

رئيس دولة) بنفس حصة العامل والفلاّح!.وقد يقول رابع:ان كل من في الحكومة السابقة يجب ان يقدّم الى المحاكمة لمقاضاته بثلاث تهم كبيرة:شرعنة اغتصاب مال عام واثراء فاحش وافقار شعب.وقد يرى خامس: آية المنافق ثلاث..اذا حدّث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان ..وانها تنطبق بالتمام والكمال على الحكومة الحالية.

أنا في شك من ذلك ، فما زلت ارى أنه يوجد في الحكومة من هو مخلص ووطني وصادق،ومن لا يريد أن يغتني ويكون سببا في افقار شعبه..ولكنني أصبحت على يقين تام أن (الحقيقة دائما عدوّة السلطة) حتى لو كانت ديمقراطية!.

7.ميكافيللـــــــي ..الديمقراطـــــي!

كنت اتصور أن شيخ النفسانيين (فرويد) هو أول من اكتشف أن الانسان تتحكم بسلوكه غريزة العدوان وأنه شرير بطبعه، الى أن أعدت قراءة (الأمير) فوجدت أن ميكافيللي أحق من فرويد بهذا الاكتشاف، وأنه أبرع من فهم سيكولوجية السلطة. والمدهش أن ما قاله عن (الأمير: الملك، رئيس الجمهورية،رئيس الوزراء..) قبل خمسمائة عام ما يزال ينطبق على معظم حكّام العالم، بل أن اغلب من بيده السلطة بالدول

النامية يتعاملون مع (الأمير) معاملة هتلر وموسوليني وستالين وفرانكو..أعني أنهم يضعونه في مكاتبهم ويعدّونه مستشارهم في ادارة شؤون الدولة.

والمفارقة، أن ميكافيللي وصف بالشيطان، ووصفه موسوليني– الذي أعدّ اطروحة دكتوراه عنه– بأنه منافق كبير، وقال عنه برتراند رسل:"بالرغم من ان عصر النهضة لم ينتج فيلسوفا نظريا هاما،الا انه انتج رجلا هاما في مجال الفلسفة السياسية هو ميكافيللي".ومع ان الحكّام الأحياء منهم والأموات انتقدوه فأن معظمهم طبّقوا ويطّبقون ما اوصى به في تعاملهم مع الرعية. وان كنت في شك بما اقول، أقرا (الأمير) فستجد أنه يوصي الحاكم أن يكون غدّارا اذا وجد أن محافظته على العهد لا تعود عليه بالفائدة، وأن يكون دعيّا كبيرا ومرائيا عظيما، فالاستيلاء على السلطة والاحتفاظ بها خدمة لمصالح فئة او جماعة سياسية على حساب جموع الناس ورغما عنهم ..يقتضي استعمال ما يلزم من قهر واستبداد لفرض نظام سياسي يروج له على أنه الخير العام. ويضيف (ميكافيللي) أن على الحاكم أن يجمع بين خداع الثعلب ومكر الذئب وضراوة الأسد، وأن لا يخجل في اختيار أي أسلوب مهما تدّنى لتحقيق أهدافه وطموحاته السياسية، وأن لا يتقيد بالمحاذير الأخلاقية التقليدية لتحقيق مبتغاه، فالهدف الرئيس لم يعد ،وفقا له، تحقيق رفاهية شعبه وسعادته بقدر البقاء في الحكم الى ما شاء الله. وأن يتقن الكذب والمراوغة ليحقق مآربه بأية وسيلة ملتوية، ويعطي شعبه في الوقت نفسه الانطباع بأنه رحيم، نزيه، انساني، مستقيم، ومتدين. وينبّه الحاكم الى أن الناس ناكرون للجميل، متقلبون، مراؤون، شديدو الطمع، وهم الى جانبك طالما أنك تفيدهم ..وسيمجدونك حين تكون مرهوب الجانب شديد العقاب.ويحلل الناس بشكل ذكي بانهم بسطاء ويرضخون بسهولة من اجل احتياجاتهم الضرورية،وان على الحاكم ان يظهر بمظهر المحافظ على الدين وتعاليمه واحكامه وشرائعه ،فبه سيضمن سكوت الشعب المتدين بطبعه الذي تنطوي عليه هذه الحيل.

ياسلام! كم كان هذا ينطبق علينا، حاكما وناسا، قبل تسع سنوات. وكم فيه من عبرة وتحذير: ان الشيطان ميكافيللي ما يزال حيا في زعاماتنا التي أصابها الاحتراب الطائفي بالبارانويا! وايصال زعامات محتقنة بشرور جاءت بها ديمقراطية ناقصة عقل ومسؤولية.والمفارقة أن مقولته:"في عالم السياسة كل شيء مباح..المكر ،الخداع،الكذب،الوحشية،التستر برداء القيم والأخلاق والدين"

وجوده ومصيره وما يحيط به من أمور

في عالمنا العربي، كانت السلطة قد وضعت يقين الناس في (القومية) وإذا بهذا اليقين الذي حقنت به عقول الملايين من مئات السنين، ينهار ويتطاير في ستة أيام بنكسة أوجع خجلا من العار !.

هنالك سلطات في مكان آخر من عالم قريب منا، التجأت الى الدين في تطمين الناس) بيقين)، فكان ما كان مما نحن نعرفه من خذلان للانسان والدين معا

المصيبة ان عقل السلطة عندنا يخترع وهما بهيأة يقين ثم يصدّقه على طريقة جحا

متجسدة في نظامنا الديمقراطي، وزاد عليها اشاعة الفساد ونهب ثروات الوطن من قبل مسؤولين كبار بينهم من لبس العمامة او اطال لحيته!.

هذا يعني ان بين قادة البلد (ميكافيللين ديموقراطيين) اثبتت السنوات التسع انهم في تعاملهم مع السلطة لن يتخلوا عن تطبيق مبدأ الغاية تبرر الوسيلة حتى لو كانت تجلب الكوارث والفواجع للناس..وانه لا سبيل للعراقيين غير أن يعطّلوا عقلهم الانفعالي الذي جاءهم ببرلمانيين خذلوهم وأخجلوهم ،ويحكمّوا عقلهم المنطقي في الانتخابات المقبلة بانتقاء من يمتلك القدرة على انقاذ العراق من محنته ،ويمنعوا مجيء ميكافيللي ديمقراطي جديد، والا سينطبق عليهم قول تشرشل :" كل شعب في العالم ينال الحكومة التي يستحقها !".

II – السلطـــــــة (العراق..انموذجا) (4-4)

هذه هي الحلقة الأخيرة بعد سبع حلقات بحثت اربعا منها في الاشكاليات الخاصة بالدين وثلاثا في الاشكاليات الخاصة بالسلطة..نستكملها بالرابعة التي تتناول كيف ان السلطة تجعل السياسي مكروها من قبل الناس،وكيف انها تفسد ضمير المناضل حين يجلس على كرسيها.

8. السلطــة..حيــن تجعــل السياســي مكروهــا.

ان ابرز عمل حققه السياسيون العراقيون بعد التغيير هو انهم جعلوا الناس يكرهونهم لأبعد مدى!. وكره العراقيين لحكامهم ــ بأستثناء عبد الكريم قاسم ــ حالة مشروعة، لأنهم انشغلوا بترفيه انفسهم وتركوهم بحالة تخلّف في بلد يمتلك كل مقومات التقدم والحياة الكريمة.. لكن ان يكره الناس سياسيين هم جاءوا بهم ليحكموهم..فتلك حالة نادرة في التاريخ.

والذي يتقصى كراهية العراقيين للسلطة يجد انها ناجمة عن تخوفهم من كارثتين: اخلاقية وسياسية. فالسياسي الذي قصد الناس قبيل الانتخابات يدعوهم لانتخابه، كان في وعده لهم بتحقيق ما ينتشلهم من واقع مؤلم..عملية اخلاقية تعني في عرفهم الاجتماعي " كلمة شرف"، لكنه جعلهم خلف ظهره بعد أن "فوزّوه" ونكث وعده، وفي سلوكه هذا مخادعة، اي اظهار غير ما في النفس، والخادع ذئب محتال كما يرد في القاموس المحيط.

وهذا السياسي الذي صيّروه حاكما عليهم ليخدمهم..خذلهم وتنّعم بحياة خرافية وتركهم يعيشون حياة بائسة. وان تخذل من ائتمنك تعني في قيم العراقي..غدرا"..والغادر جبان. والانكى أن السياسيين الخضر (نسبة لمكان سكناهم) انقسموا الى فرقاء، وتخندقوا كلّ يدعي أنه الأحق بحكم العراق.. تاركين ناس العراق موزعين في قرى أشبه بمستوطنات للأمراض والتخلف، ومدن لها منها الأسم فيما واقعها يعود لما قبل قرن،وأطفال يفتشون في القمامة عن لقمة خبز في بلد الخيرات، وخمسة ملايين في بقاع العالم يعانون الغربة والمذلّه.

وما يحز في النفوس ان السياسيين (الذين يفترض أن يكونوا قادة وقدوة) اوصلوا الناس الى أن ينعتوهم بصفات مخجله، اوجعها "عديمو ضمير" و" ماتت عدهم الغيرة العراقية"، واخطرها انهم اسسوا لديهم عملية اشراط بين السياسي وصفات رذيله. فكما يسيل لعابك حين تسمع كلمة "طرشي" أو " نومي حامض" فانه تأسست لدى العراقي عملية اقتران شرطي بين " السياسي" و: الفساد، النفاق، الغدر،.. وباختصار صار السياسي مكروها" اخلاقيا". والكارثة ان هذا الصنف من السياسيين اذا لم يتوقفوا عن هدم ما بقي من الاخلاق،فان جيل الأطفال والشباب سيرى في هذه الصفات

الموت بها أهون من تعفّن صاحبها في حفرة وفضيحته أمام الناس الذين كان يزقهم بـ(يقينات) آخرها : تحطم الغزاة على أسوار بغداد

لكل سلطة سيكولوجية خاصة بها ومزاج نفسي يميزها عن غيرها من السلطات، بالرغم من وجود ثوابت نفسية تشكل قاسما مشتركا لكل السلطات في الدنيا

حتى صرنا نعتقد بأن القائد العربي يولد بتركيبة بيولوجية وقدرات خارقة تخصه بها قوة سماوية غير تلك التي يولد بها عباد الله

القبيحة هي المطلوبة لمن يريد ان يتبوأ مركزا في السلطة..وهذا يعني ان مستقبل العراق سيحكمه من يمتلك هذه الصفات بتفوق!..وأن السلطة التي كانت مشفرّة بدماغه في السابق بالظلم والاستبداد ستشفر الآن بالفساد وانعدام الضمير.

راحت السلطة تغريه إغراء فاتنة (لعوب) محترفة. فاستجاب أغلبية القادة العرب لهذا الإغراء أو ذاك، كل حسب هواه ومزاجه، وتوزعوا على : الهوس ببناء القصور، أو جمع الثروة، أو جمع النساء، أو اللهو والمتعة

9. السلطــة ..حيــن تفســد المناضــل.

الحقيقة التي افرزتها سنوات ما بعد التغيير ان مناضلين افلسوا اعتباريا حين استلموا السلطة وأن الشعب ازداد شقاءا بوجودهم..وهذا عكس المنطق،اذ يفترض أن المناضل ينال حب وتقدير الناس حين يكون في السلطة..وان الشعب يكون مرتاحا حين يتخلص من نظام دكتاتوري ويصير في نظام ديمقراطي.

فلماذا حصلت هاتان الخسارتان..خسارة مناضلين لأنفسهم وخسارة شعب لحاضره ومستقبله؟.هل الخلل في: المناضلين؟ الناس؟ طبيعة السلطة ؟ المحتل؟.

الجواب،ان الخلل في هؤلاء الأربعة وان اختلف حجمه وشدّة تأثيره..ولنبدأ بالمناضلين ولنتفق على تعريف المناضل بأنه كلّ من أشهر عداءه للنظام الكتاتوري السابق وعمل على اسقاطه بغض النظر عن النوايا المضمرة ،والجدل بين من يرى أن هؤلاء ليسوا مناضلين بل عملاء ،وآخر يرى انه ما كان بامكان المناضلين اسقاط النظام من دون التعاون مع قوة خارجية ضاربة..وأن بعضهم اقنع تلك القوة وله في ذلك فضل تخليص شعبه من أعتى نظام دكتاتوري في التاريخ الحديث..وأنه بهذه العملية الذكية والخطيرة يعدّ وطنيا استثنائيا وليس عميلا كما يفسّرون.

أقرا (الأمير) فستجد أنه يوصي الحاكم أن يكون غدّارا اذا وجد أن محافظته على العهد لا تعود عليه بالفائدة، وأن يكون دعيّا كبيرا ومرائيا عظيما

وبغض النظر عن هذا وذاك وآخر يجعلهم في خانة أخرى، فان المعيار الحقيقي للمناضل هو أن يعمل لخدمة شعبه ،وبدونها يفقد هذه الصفة الرفيعة..فلنطبّق هذا المعيار على المناضلين العراقيين الذين استلموا السلطة ..والأصح:سلّمت لهم السلطة.

كانت أول "لقمة حرام" ابتلعوها أنهم احتلوا بيوت المسؤولين الكبار في النظام السابق ،وتنعّموا بما كانوا يعدونه فسقا وفجورا. ولو أنهم أصدروا في حينها بيانا للناس عدّوا فيه هذه البيوت ملكا للدولة ودفعوا مستحقاتها، لما استفتحوا بها شهية الفاسدين والمفسدين ولما كان الفرهود بتلك الحالة المخزية. ومن البدء، عزلوا أنفسهم عن شعبهم وسكنوا في منطقة كل شيء فيها متوفر ،وأولها نعمة الكهرباء. وصاروا يأكلون ما لذّ وطاب..فاستطالت كروش وتدلت (لغالغ)..وصار منظرهم يذكّر بمقولة " اذا رأيت سلطانا قد شبع بعد هزال فاعلم انه سرق". وجابوا دول العالم (مجانا)..واشتروا (الفلل) في عواصم عربية واجنبية. ومنحوا أنفسهم رواتب خيالية. فالراتب الشهري لرئيس الجمهورية 75 مليون دينارا،ومثله لرئيس الوزراء..عدا المخصصات والامتيازات،فيما المناضل الحاكم لا تسمح له مبادؤه أن يتقاضى راتبا اعلى من راتب حاكم دكتاتوري،لاسيما اذا كان ربع شعبه(الذي ناضل من أجله!) تحت خط الفقر ونصفه بطالة..وكان على احدهما أن يبادر الى خفض راتبه ليكون قدوة وهو الذي يملك المليارات!..كما يقولون.

يضيف (ميكافيللي) أن على الحاكم أن يجمع بين خداع الثعلب ومكر الذئب وضراوة الأسد، وأن لا يخجل في اختيار أي

وقد يهون الأمر لو أن المناضل التزم بمعيار "خدمة الناس" ،لكنهم تركوا العراقيين يعيشون في محنة هم يصنعونها ولا نية لديهم لمعالجتها..وعشرات آلاف الخريجين من حملة البكلوريوس "عطّاله بطّاله"" وهم عنهم ساهون.فقد ذكر الكاتب عبد الحليم الغنيمي في عموده هموم الناس بجريدة الصباح(8 -1 -2011):"من الغريب ان نسمع حديث بعض المسؤولين عن البناء والاعمار واعادة تأهيل القطاعات الزراعية والصناعية والاتصالاتية والمواصلاتية من غير ان يخصص هؤلاء المسؤولون جانبا من احاديثهم عن بطالة المهندسين ..ومن المؤسف ان نستلم في قسم الباب المفتوح

(بجريدة الصباح)الآف الرسائل التي يبعث بها مواطنون عاطلون تبلغ نسبة المهندسين بينهم أكثر من خمسين بالمئة"..فضلا عن مدن خربه،وقرى موبوءة..وعاصمة كان الشعراء يتغنون بها لجمالها تحولت الى أخطر واوسخ مدينة بالعالم..وسياسيون صريحون وآخرون بأقنعة مقاولين تحولوا الى (حراميه) في شبكة من حيتان وأسماك متنوعة الأحجام.. في أبشع وأجشع مافيا في تاريخ الفساد بالعراق الذي صار "بفضلهم" ثالث أفسد دولة بالعالم لولا أنهم شرعنوا الفساد ،وسكتوا عن محاسبة فاسدين ومفسدين لأنهم محسوبون عليهم. ولا أظن أن أحدا يعترض على اسقاط صفة "مناضل"استلم السلطة وارتكب هذه "الجنايات" وانفرد بتحقيق مصالح شخصية خيالية.. وترك شعبه يشقى!.

والتحليل السيكولوجي لهذا النوع من المناضلين هو أن طبيعة شخصياتهم من الصنف الذي يتحكم به دافع السيطرة على الآخرين الذي يتعارض مع خدمة الناس الا بما يضمن بقاءه في السلطة..وهو صنف خطر على الديمقراطية،لأن النظام الديمقراطي يؤمن بمبدأ التداول السلمي للسلطة..فيما داخله السيكولوجي طارد له لأنه يدفعه نحو التمسك بالسلطة المؤدي حتما الى طغيانه فيها.

وهنالك فرق بين مناضل يعدّ اسقاط سلطة استبدادية غاية، وبين من يعدّ اسقاطها وسيلة لغاية أسمى هي خدمة شعب وازدهار وطن. ويبدو ان كثيرين منهم كانوا منضوين في معارضة ،كانت معارضة من أجل نفسها اولا لا من أجل الناس كما ثبت لاحقا .وتبين أن بينهم من هو محبّ شهرة وظهور ،ومن كان فاشلا دراسيا واجتماعيا أو معانيا من شعور حاد بالنقص. ونرجو أن لا يؤخذ كلامنا هذا بصيغة التعميم ،فكثير من السياسيين العراقيين مناضلون حقيقيون يستحقون التقدير والأعجاب،غير أن أغلبهم خارج السلطة..والذين فيها قلّة جاءت في غير زمانها..وجمعها القدر مع كثرة لها اليد العليا!.

وكما للسياسيين رذائلهم فان للشعوب رذائلها ايضاً . فالشعب الألماني جاء بهتلر عبر انتخابات ديمقراطية..وكذا فعل الشعب العراقي .فاذا كنّا نغفر للعراقيين انتخابهم لأعضاء برلمان 2005 (الطائفي،الارهابي،المتخلف)،لتحكّم سيكولوجيا الضحية بكل من جماهير الشيعة والكورد،وسيكولجيا الاحتماء بجماهير السّنة العرب ،فانهم ارتكبوا الخطأ نفسه في انتخابهم لبرلمان 2010 لبقاء تحكّم العقل الانفعالي بهذا النوع من الجماهير التي (تفوّز) هذا وتخسّر ذاك .واذا كانت هذه الجماهير قد صدقّت بالسياسيين وضحّت من اجلهم عام 2005 في انفعالية مشروعة سيكولوجيا لطبيعة العراقيين ولتاريخ علاقتهم بسلطة جمهورية الرعب!،فانها ،الجماهير،عملت ضد مصالحها في انتخابات 2010 ولم تأتي بمن هو الأجدر والأصدق والمؤتمن على خدمتها.

ويبدو أن كرسي السلطة في العراق فيه مسمار طويل "ملوّث"،ما أن يجلس عليه السياسي حتى يصل الى ضميره..فيثقبه ويفسده!.ولهذا تراه مزدوجا ،بين لسان يبقى يجيد الكلام في الوطنية وخدمة الناس وبين فعل مدفوع بضمير تهرّأت قيمه..وميزان الحكم لمفردات الفعل لا لمفردات الكلام.

اما المحتل فهو الوحيد بين الأربعة الذي يجاهرعلنا بأنه مع عراق مستقر يضمن مصالحه، ولا يهمه ان كان الحاكم زيدا أم عمرا..ما دام هو الذي جاء بهم بولادة قيصرية يحتاج وليدها الى حاضنة ترعاه ويحتمي بها..وله في قلب مدينته الخضراء اكبر سفارة في العالم تضم خمسة عشر الف موظفا اغلبهم عسكر ومخابرات..!

ان هذه التركيبة المعقدة والمتداخلة من مناضلين فشلوا سياسيا وخسروا اعتباريا حين صاروا حكّاما ،وجماهير ما تزال تعمل ضد مصالحها،وتاريخ سلطة "نصحت" من يصل الى كرسيها أن يرفع شعار(لأعضّ عليها بأسناني)، ومحتل استكمل بناء قواعد عسكرية في مواقع على أرض عراقية..لن يبشر بحاضر تنفرج فيه الأزمات ومستقبل يطمئن له الوطن والناس..الا في حالتين:أن يستمر علماء

أسلوب مهما تدّنى لتحقيق أهدافه وطموحاته السياسية، وأن لا يتقيد بالمحاذير الأخلاقية التقليدية لتحقيق مبتغاه

السلطة التي كانت مشفرّة بدماغه في السابق بالظلم والاستبداد ستشفر الآن بالفساد وانعدام الضمير

الحقيقة التي افرزتها سنوات ما بعد التغيير ان مناضلين افلسوا اعتباريا حين استلموا السلطة وأن الشعب ازداد شقاءا بوجودهم

هنالك فرق بين مناضل يعدّ اسقاط سلطة استبدادية غاية، وبين من يعدّ اسقاطها وسيلة لغاية أسمى هي خدمة

البلد بنصح السياسيين وان استمروا بغلق آذانهم ، وأن يعمل المفكرون والمثقفون والأكاديميون على توعية الجماهير المغلوب على وعيها بالنوعية التي ستأتي بها لبرلمان 2014..اذا بقيت الديمقراطية تتنفس الى ذلك الحين!.

بهذا نكون قد انهينا مسلسل (اشكاليات في الدين والسلطة).ومع اننا نأمل ان نكون قدمنا فيه اضافة معرفية،فان الأهم ان يثير نقاشا ويطرح افكارا ورؤى بخصوص مرحلة تحتم على المفكرين ان يمارسوا دورهم في توعية الناس..لأن أخطر ما فيها أنها تتصف بانعدام اليقين!.

أكتوبـــر2012.

شهـــر الدعـــم السنـــوي لـ" شبكـــة العلـــوم النفسيـــة العربيـــة

نحو تعاون اكاديمي بيعربي رقيا بالعلوم النفسية و خدماتها

www.arabpsynet.com/documents/DocOctoberApnMonth.pdf

**** ****

2012/06/13 - 2002/06/13

" الشبكة تدخل عامها العاشر...حصاد تسع سنوات"

www.arabpsynet.com/Documents/DocTurkyApn9YearsAgo.pdf

**** ****

الشبكـــة: الاشتراك و الخدمات و خيارات الدعم المتاحة

www.arabpsynet.com/Documents/ApnSubscription.pdf

واقـــع و مستقبـــل "شبكـــة العلـــوم النفسيـــة العربيـــة"

www.arabpsynet.com/Documents/DocTurkyCallDialogueAboutAPN.pdf

**** ****

دعـــوة للعضويـــة

" لجنة البحث والدراسة في التراث النفسي العربإسلامي"

www.arabpsynet.com/documents/DocComSt&ResArIslamicPsy.pdf

ترسل الطلبات مصحوبة بالسيرة العلمية على البريد التالي

arabpsynet@gmail.com

ARABPSYNET PRIZE 2012

جائـزة البروفيســور مالك بدري لشبكـة العلـوم النفسية العربيـة 2012

www.arabpsynet.com/Prize201/2APNprize201.2pdf